مجلة

البرج

مجلة علمية دعوية تربوية

تصدرعن مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما
مؤسسها الدكتور أمجد أحسن علي رحمه الله

العدد 2

محرم، صفر، ربيع الأول ١٤٤٧هـ

علو الهمة

شامة الحريّة
على جبين باكستان

رشح القلم
فيما ورد في المحرم

- تحقيق ميلاد الحبيب ﷺ
- أسس تطور الذات
- الكريم الغامض

مجلة علمية دعوية تربوية

تصدر عن مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما،

مؤسسها الدكتور أمجد أحسن علي رحمه الله

العدد (٢) محرم، صفر، ربيع الأول ١٤٤٧هـ

المشرف العام

فضيلة الشيخ أبو أحمد عبد المعز بن علي منصور التونسي حفظه الله

اللجنة القائمة على المجلة

الأستاذ أسامة محمود — الأستاذ حمزة نذير

الأستاذ عامر خالد — الأستاذ نصير الله المنصور

الأستاذ محمد شعيب — الأستاذ عمار عبد الحفيظ

أ. محمد بن أسلم الصديقي — الأستاذ محمد فرقان

الأستاذ حذيفة رفيق — الأستاذ محمد عمران

التنسيق والمراسلات

الأستاذ مدثر ياسين

التصفيف والتصميم

الأستاذ خوشحال

alhebr@madrasaibneabbas.com

alhebr.madrasaibneabbas.com

9 2 3 3 1 2 9 4 3 9 6 1

محتويات العدد

كلمة العدد	علوّ الهمّة	الشيخ أبو أحمد عبد المعز بن علي منصور حفظه الله	٥
في رحاب القرآن	ورتل القرآن ترتيلا، الحلقة (٢)	الشيخ ظهير أحمد صديقي حفظه الله	٨
من وحي السيرة	تحقيق ميلاد الحبيب ﷺ	أ. محمد بن أسلم الصديقي	١٠
	ولكم في رسول الله أسوة حسنة	أ. أسامة عبد الرحيم	١٣
	لمحة تاريخية من دعوة النبي ﷺ في القرآن الكريم	أ. محمد إلياس بن عمران	١٥
مواسم ومناسبات	رشح القلم، فيما ورد في المحرم	أ. عمار عبد الحفيظ	١٧
	شهر الله المحرم	أ. أبو دجانة	١٩
	مأساة كربلاء.. بين الاتباع والابتداع	أ. محمد عمران، إسلام آباد	٢٢
التربية والتعليم	أسس تطوير الذات	أ. عامر خالد	٢٤
	تربية الأولاد ، الحلقة (٢)	أ. محمد سعد	٢٧
	اعرف قدرك، ليعرفك العالَم	تعريب: أ. أسامة إقبال	٢٩
اللغة العربية	أمسية مع كلمة عربية (٢) : لقاء مع رائد العلم وجليس العلماء	أ. محمد شعيب	٣١
الأخلاق والرقاق	من صاحبك الوفي؟	أ. أبو الهيثم فرقان أحمد	٣٣
	إكسير السعادة	أ. أبو الفاتح حمزة نذير	٣٦
	الحياة بين الصبر والشكر	أ. سرخيل	٣٨
	نظرة وعبرة.. في أطول آية	أ. محمد فرقان	٣٩
المسلمون في العالم	أهمية دعوة غير المسلمين إلى الإسلام	أ. أبو سليمان نصيب الرحمن	٤١
	شامة الحرية على جبين باكستان	أ. ظاهر شاه	٤٣
الناس والمجتمع	التساهل الفاشي في المرور بين يدي المصلي	أ. حارث كسباتي	٤٥
سير وأعلام	د.أمجد أحسن علي رحمه الله، حياته العطرة ، الحلقة (٢)	أ. نصير الله المنصور	٤٧
	رحلة الشيخ عمر فاروق رحمه الله إلى الدار الآخرة، الحلقة (٢)	أ. عبد الرحمن عبد الله	٤٩
إشراقات أدبية	ما أشد فراقك يا أماه!	أ. محمد كامران	٥١
	المقامة الرغيفية	أ. عثمان معاوية	٥٢
قصة وعبرة	الكريم الغامض	أ. أبو سالم الأنصاري	٥٣

ما ينشر في المجلة يعبر عن آراء كاتبها، ولا يعكس بالضرورة رأي المجلة

علوّ الهمّة

الشيخ أبو أحمد عبد المعز بن علي منصور حفظه الله

أحمده سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩]، وأصلي وأسلم على النبي المختار القائل «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» وعلى آله الطيّبين الأطهار، وصحبه النجباء الأخيار رضي الله عنهم أجمعين.

أما بعد:

فإن الباعث على كتابة هذه السطور هو ما رأيته من عزوف الناشئة عن اكتساب المعالي، مع وجود كل الوسائل والظروف الملائمة، ولكن للأسف الشديد؛ ابتعدنا كثيرًا عن المرام، واكتفينا بالفتات القليل الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. والله المستعان... قديما كانت الوسائل قليلة، ولكن الهمم كانت عالية تناطح السحاب.

إن طلب العلم والاستزادة منه وعلو الهمة لم يُستثنَ منه أحد حتى الأنبياء، فقد قال الله – جل جلاله – لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وأمر موسى (عليه السلام) أن يتعلم من الخضر...، قال الحافظ ابن حجر: في «فتح الباري» أن موسى – عليه الصلاة والسلام – لم يمنعه بلوغه من السيادة من طلب العلم وركوب البحر لأجله...، وذكر الماوردي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – لو كان أحد يكتفي من العلم لاكتفى منه موسى – عليه السلام – لمّا قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]

ومن أكثر الصحابة حرصا على الطلب واستزادة العلم حبر هذه الأمة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، يغدو إلى زيد بن ثابت فينام على عتبة بابه...! ينام في الظهيرة وينام في السحر، يُري الله منه الجدّ، ويشهده على صدق رغبته في العلم، ولو تأملناه لوجدنا فيه فوائد عظيمة، منها أنه لم ينتظر قدوم العالِم ولكن غدا إلى بيته، وكان ينام على بابه، فإذا خرج زيد ربما أشفق عليه – رضي الله عنهما وأرضاهما – فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما هذا؟ فيقول عبد الله بن عباس قولته المشهورة: «العلم يؤتى إليه».

وثبت عنه أنه كان إذا ركب زيدٌ على دابته أخذ بخطام الدابة، فيقول له: أتفعل هذا وأنت ابن عم رسول الله ﷺ! فيقول له ابن عباس رضي الله عنهما: نعم، هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا.

وكان زيد ممن كتب القرآن وحفظه وعلم حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه –رضي الله عنه وأرضاه – . ولما دفن

زيد، بكى أبو هريرة وقال قولته المشهورة: لقد دفن الناس اليوم عِلماً كثيراً. ولكن لعل الله أن يجعل في ابن عباس خلفاً لذلك العلم. لأن ابن عباس حفظ عن زيد، وكان كثير الحرص على التبكير إلى مجالس العلم.

ومِنْ مَنْ له حضور بقوة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت؟ ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت؟ ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه، وكان إذا قرأ هذه الآية ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] قال: اللهم رب زدني علما وإيمانا ويقينا. ولا يفوتنا الحديث عن حافظ الصحابة سيدنا أبي هريرة الذي شهد له رسول الله ﷺ بالحرص على العلم لكثرة ملازمته له حتى كان يدور معه حيثما دار، فلما توفي الرسول ﷺ كان يسأل كبار الصحابة عن حديث الرسول ﷺ، كما كان يفعل صغار الصحابة، كعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأنس، وغيرهم – رضي الله عنهم جميعا –، وهذا يدل على حرصه على استيعاب كل أخبار رسول الله، وكان من أشد الناس حفظًا للحديث. كما قال الشعر:

المكثرون في رواية الأثر ... أبو هريرة يليه ابن عمرْ
وأنس والبحر كالخدريّ ... وجابرٌ وزوجة النبيّ

إن الحديث عن الأعلام ذو شجون يرفع الهمم، ويزيد الرغبة، ويقوي الإيمان، ويحفز المتقاعسين، فقد كانت لهم بداية محرقة، فكانت نهايتهم مشرقة.

ها هو إمامُ دار الهجرة علم من أعلام المدينة مالك بن أنس رحمه الله نموذجًا يحتذى به، ورُوي عنه أنه قال: «شهدت العيد، فقلت: هذا يوم يخلو فيه ابن شهاب، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه، فسمعته يقول لجاريته: انظري مَن في الباب. فنظرت، فسمعتها تقول: مولاك الأشقر مالك. قال: أدخليه. فدخلت، فقال: ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك! قلت: لا. قال: هل أكلت شيئا. قلت: لا. قال: أطعم. قلت: لا حاجة لي فيه. قال: فما تريد؟ قلت: تحدثني. قال لي: هات. فأخرجت ألواحي فحدثني بأربعين حديثا. فقلت: زدني. قال: حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ. قلت: قد رويتها. فجبذ الألواح من يدي ثم قال: حَدِّث. فحدثته بها. فردها إلي وقال: قم فأنت مِن أَوعية العلم».

ومِن أهم مَنْ يُقتدى به في طلب العلم علم من الأعلام وهو قاضي القضاة الإمام العلم أبو يوسف (رحمه الله)، لا نريد الحديث عن بدايته، بل عن نهايته، كان آخر أعماله قبل وفاته هو التفكر في مسائل الفقه، فقد زاره إبراهيم بن الجراح التميمي المازني الكوفي (رحمه الله) ثم القاضي نزيل مصر، المتوفى سنة ٢١٧هـ، وكان قد تفقه على أبي يوسف وسمع منه الحديث، قال إبراهيم: أتيته أعوده فوجدته مغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم ما تقول في مسألة؟ قلت: في مثل هذه الحال؟! قال: ولا بأس بذلك. ثم قال: أيهما أفضل في رمي الجمار، أن ترميها راكبا أو ماشيا؟ فقلت: راجلا. فقال: أخطأت.

فقلت: راكبا. فقال لي: أخطأت. ثم قال: أمَّا ما كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن ترميها راجلا لأنه أشد لتمكنك وأغزر لدعائك، وأما ما كان لا يوقف عنده، فالأفضل أن ترميها راكبا لأنه أسرع لتنحيك. ثم قمت من عنده فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه وإذا هو قد مات. رحمه الله رحمة واسعة...

وليس الإمام الشافعي (رحمه الله) عنه ببعيد...

حدث الإمام الشافعي عن نفسه، فقال: انتقلت بعد ذلك من مكة إلى قبيلة هذيل؛ لأتعلم منها اللغة العربية، فلقد كانت قبيلة هذيل أفصح العرب بيانًا ولغة وكلامًا، يقول: فرجعت بعد ذلك إلى مكة لأردد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فلقيني رجل من الزبيريين من بني عمي، فقال لي: يا أبا عبد الله! والله إنه ليعزّ عليَّ ألا يكون مع هذه البلاغة والفصاحة والذكاء فقهٌ.

يقول الشافعي: فقلت له: فمن من العلماء نقصده لطلب الفقه؟ يقول الشافعي: فقال لي هذا الرجل: تقصد سيد المسلمين مالك بن أنس في مدينة رسول الله ﷺ.

يقول: فوقعت هذه القولة في قلبي – انتبهوا يا طلبة العلم – يقول الشافعي: فذهبت إلى رجل من أهل مكة علمت أنه يحوي عنده موطأ الإمام مالك، يقول: فذهبت إليه واستعرت منه الموطأ وعكفت عليه، فحفظت الموطأ عن ظهر قلب في تسع ليالٍ (حفظ القرآن وعمره سبع سنين، وحفظ موطأ الإمام مالك في تسع ليالٍ لا في تسع سنين)، يقول: فلما انتهيت من حفظ الموطأ أخذت رسالة من والي مكة ومن شيخي وذهبت إلى الإمام مالك، وقص الشافعي رحلة طويلة جميلة عذبة لا يتسع الوقت لسردها.

وقال بإيجاز شديد: وصلت إلى الإمام مالك فلما كلمته، وأعجب الإمام مالك بذكائه وفصاحته ولغته وبيانه وإعرابه، قال مالك لهذا: يا غلام! ما اسمك؟ قال: محمد.

فقال مالك: يا محمد! إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية، فإني أرى أنه سيكون لك شأن كبير إن شاء الله عز وجل.

ثم قال مالك للشافعي: يا فتى إذا كان الغد تجيء ويجيء من يقرأ لك الموطأ.

فقال الشافعي: أنا قارئ، أنا أقرأ إن شاء الله تعالى.

يقول: فلما كان الغد أخذت الموطأ في يدي وجلست بين يدي شيخي مالك، وأخذت أقرأ عليه الموطأ من حفظي، وكلما نظرت إلى مالك وتهيبت مالكًا – وكان مالك قد أعجب ببلاغتي وقراءتي وحسن إعرابي – فكلما أردت أن أنهي القراءة في الموطأ نظر إليَّ مالك وقال: زد يا فتى زد يا فتى زد يا فتى، حتى أنهيت الموطأ كله في أيامٍ يسيرة، ولا تظنوا أن الشافعي أخذ عن مالك الموطأ فقط، وإنما أخذ عنه كل ما عنده من حديث رسول الله ﷺ، الذي كان يحفظه مالك ليس هو الموطأ فحسب، فأخذ الشافعي الحديث عن الإمام مالك، وأخذ عنه الفقه وفتاوى الصحابة وعمل أهل المدينة رضوان الله عليهم جميعًا، ولبث الإمام الشافعي في المدينة المنورة ملازمًا لشيخه ملازمة الظل لصاحبه حتى توفى الله مالكًا رضي الله عنه، ولم يكتفِ الشافعي بعلم مالك، وإنما رحل إلى شيوخ المدينة – وكانت المدينة حينئذٍ تزخر بالأئمة الأعلام والشيوخ الكبار – وأخذ العلم عنهم جميعًا. وهذا قليل من كثير، وسهم من كنانة، وغيض من فيض، وفي هذا الصدد كَتَبَ الإمام الذهبي كتابًا وسماه «سير أعلام النبلاء»، فيه الكثير الكثير من سير هؤلاء الرجال...

إنَّ ما يزيد من رفع الهمم صحبةَ أولي الهمم العالية، ومطالعةَ أخبارهم والمداومةَ والمثابرةَ في كل الظروف.

من النكات التي نقف عندها أن كثيرا من هؤلاء الأفذاذ فقدوا آباءهم وهم صغار، كالإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد والإمام البخاري (رحمهم الله جميعا)، ولكن تربوا تربية حسنة، فلله در أمهاتهم الصالحات التقيات الورعات، كان لهنّ الفضل في تنشئة هؤلاء الأعلام...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المشرف العام

سماحة الشيخ عبد المعز بن علي منصور التونسي

حفظه الله

الحلقة (٢)

ورتل القرآن ترتيلا

الشيخ ظهير أحمد الصديقي حفظه الله

سلسلة علمية مباركة تتناول أحكام تجويد القرآن الكريم، وتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالرسول ﷺ؛ هدفا إلى تمكين القارئ من جودة التلاوة وحسن الأداء، وعصمة لسانه من اللحن عند تلاوة كتاب الله عزوجل.

حامدًا ومصليًا ومسلمًا.. أما بعد.. فقد تناولنا في الحلقة الأولى أهمية التجويد وفضائله، والمبادئ العشرة للتجويد، وآن الأوان لأن نخوض خِضَمَّ المخارج والصفات، التي حفظت لنا اللهجة القرشية الأصيلة المختارة التي نزل القرآن بلسانهم.

قال معاوية رضي الله عنه يومًا: أي الناس أفصح؟ فقام رجل، فقال: قوم ارتفعوا عن لَخْلَخَانِيَّة العراق - وهي تفخيم الحروف المرققة على أسلوب العجم -، وتياسَروا عن كَسكَسة بكر - وهي إبدال الكاف سينًا في حالة السكون -، وتيامنوا عن كَشكَشَة تميم - وهي: إبدال الكاف شينًا في حالة السكون -؛ ليست فيهم غَمغَمة قُضاعة - وهي أن يُسمع الصوت ولا يتبين تقطيع الحروف -، ولا طَمطَمانيَّة حِمْيَر - وهو أن يكون في الكلام أسلوب عجمي -. قال: من هم؟ قال: قومك قريش.

ولسان قريش انتظم كثيرًا من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وأسواق العرب المشهورة، فكانت قريش تستملح ما شاءت، وتصطفي ما راق لها من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل فج عميق، الناسلة إلى البيت العتيق من كل حدب. ثم يصقُلونه ويهذِّبونه ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة التي أذعن جميع العرب لها بالزعامة، وعقدوا لها راية الإمامة، فكانت فئتهم التي يتحيزون إليها، ومستواهم الثقافي الذي يتخذونه معيارًا، لا بخسَ ولا فرَطَ، ولا وَكْسَ وَلَا شَطَطَ.

قال الزرقاني: «وعلى هذه السياسة الرشيدة نزل القرآن على سبعة أحرف يصطفي ما شاء من لغات القبائل العربية على نمط سياسة القرشيين بل أوفق، ومن هنا صح أن يقال: إنه نزل بلغة قريش؛ لأن لغات العرب جمعاء تمثلت في لسان القرشيين بهذا المعنى. وكانت هذه حكمة إلهية سامية فإن وحدة اللسان العام من أهم العوامل في وحدة الأمة خصوصا أول عهده بالتوثب والنهوض». اهـ.

وبعد هذا لا يخفى على ذي لُبٍّ أهمِّيَّة المحافظة على تجويد القرآن من حيث المخارجُ والصفاتُ، ذلك التراث العظيم الذي سجَّل الكيفية التي نزل بها القرآن الكريم، ودوَّن أداء النبي ﷺ له الذي هو أفصح العرب قاطبة، بيد أنه درَّة قريش اليتيمة، وتاج العرب العاربة.

مخارج الحروف الرئيسية:

وهي خمسة: ١- الجوف. ٢ - الحلق. ٣ - اللسان. ٤ - الشفة. ٥ - الخيشوم.

ألقاب الحروف ومخارجها الفرعية:

١ - **الحروف الجوفية**: هي المدية (واي) التي تخرج من الجوف وتنتهي في الهواء، وتتميز بتصعُّد الألف وتسفُّل الياء واعتراض الواو وتوسُّطه بين التصعد والتسفل.

٢ - **الحروف الحلقية**، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: (١) أقصى الحلق وأبعده مما يلي الصدر (ء، هـ). (٢) ووسط الحلق (ع، ح). (٣) وأدنى الحلق مما يلي اللهاة (غ، خ).

٣ - **الحروف اللهوية** (ق، ك)، لقرب مخرجهما من اللهاة، وهي: لحمة مشرفة على الحلق في أقصى سقف

الفم، فمخرج (ق) أقصى اللسان وما يليه من الحنك اللحمي، ومخرج (ك) أقصى اللسان أسفل من مخرج القاف وما يليه من الحنك الأعلى اللحمي والعظمي معًا.

٤ – **الحروف الشجرية** (ج، ش، ي غير المدية)، والشجر: منفتح ما بين اللحيين عند انطباق الفم، فمخرج (ج) وسط اللسان وما يليه من سقف الفم عند غار الحنك الأعلى مما يلي الكاف. ومخرج (ش) من وسط الغار، ومخرج (ي) من الغار أيضًا ولكن مما يلي الفم.

٥ – **الحروف الذلقية** (ض، ل، ن، ر)، وذلق اللسان طرفه المستدير، فمخرج (ض) أقصى حافة اللسان، وما يليها من الأضراس – الطواحن والنواجذ – العليا من جهة اليسرى، وهو أسهل، أو من جهة اليمنى. ومخرج (ل): أدنى حافة اللسان إلى منتهاها – وهي طرفه – وما يليها من لثة الأسنان العليا، قال سيبويه: «فويق الضاحك والناب والرَّباعيَّة والثَّنيَّة». اهـ والاعتماد على الحافة دون الطرف. ومخرج (ن): طرف اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى عند اللثة. ومخرج (ر): مخرج النون بذاته، ولكنه أدخل إلى ظهر اللسان قليلًا لانحرافه إلى اللام.

٦ – **الحروف النطعية** (ط، د، ت)، ونطع الفم هو الجزء الأمامي من الحنك الأعلى، ومخرجها: التحزيز الظاهر بين لثة الثنايا العليا وغار الحنك الأعلى.

٧ – **الحروف اللثوية** (ظ، ذ، ث)؛ لخروجها من قرب اللثة، لا من اللثة ذاتها، واللثة: الجلد المغطي لأصول الأسنان، ومخرج (ظ) رأس اللسان وجذور الثنايا العليا، ومخرج (ذ) رأس الثنايا، ومخرج (ث) يتجاوز رأس الثنايا قليلًا.

٨ – **الحروف الأسلية** (ص، ز، س)، أسلة اللسان: منتهى طرفه المستدقّ، ومخرجها منتهى رأس اللسان ومن بين الثنايا العليا والسفلى، ولكنه أقرب إلى السفلى.

٩ – **الحروف الشفهية** (ف، واو غير المدية، ب، م)، فمخرج (ف): أطراف الثنايا العليا المشرفة وبطن الشفة السفلى الرطب، ومخرج (و): انفتاح الشفتين وضمهما إلى الأمام مع ارتفاع أقصى اللسان. ومخرج (ب): انطباق باطن الشفتين الرطب. ومخرج (م): انطباق ظاهر الشفتين الجاف، والباء ألصق بالمخرج من الميم.

١٠ – **الخيشوم**: الجزء العلوي من الأنف المتصل بالحلق، وهو مخرج الغنة، وهي: صوت لذيذ مركب مستقر في جسم النون والميم ذو رنين حسن، يخرج من الخيشوم، لا عمل للسان فيه.

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: «والغنة صفة لازمة لهما؛ متحركتين أو ساكنتين، ظاهرتين أو مدغمتين أو مخفاتين، وهي في الساكن أكمل منها في المتحرك، وفي المخفي أكمل منها في المُظهَر، وفي المُدغم أكمل منها في المخفي». اهـ.

فتحصل منها أربع مراتب: ١ – الأكمل في النون والميم المدغمتين والمشددتين. ٢ – الكاملة في المخفاتين. ٣ –الناقصة في الساكنتين المظهرتين، وذلك لصفة التوسط بين الرخاوة والشدة. ٤ – الأنقص في المتحركتين؛ إذ لا نطق لهما بإغلاق سدة الأنف.

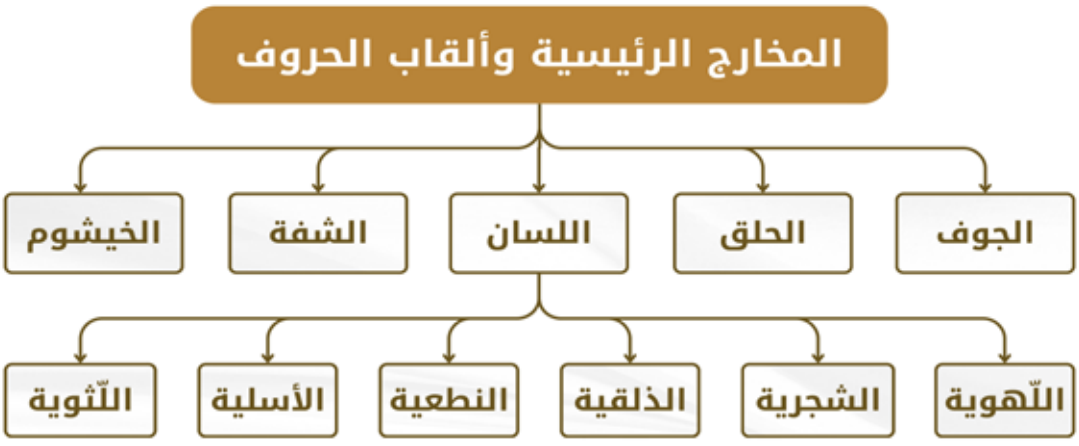

تحقيق ميلاد الحبيب ﷺ

أ. محمد بن أسلم الصديقي

أَبِمِيْلَاد رسول الله ﷺ تحتفل أم بوفاته؟ إنه ﷺ تُوُفِّيَ بلا خلاف في الثاني عشر من ربيع الأول، بينما ترى في تاريخ ولادته أربعةَ أقوال؛ هذه الأقوال نسمعها من الدعاة الناصحين منذ إهلال ربيع الأول في كل عام، ولكن استوقفني حديث أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن سعيد بن ميناء، عن جابر وابن عباس - رضي الله عنهم- أنهما قالا: «ولد رسول الله ﷺ عامَ الفيل، يوم الإثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بُعِثَ، وفيه عُرج إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات ﷺ». اهـ[1].

والحديث بظاهره يدلُّ على أن لرسول الله ﷺ علاقة خاصة بالتاريخ المذكور؛ إذ ارتبطت به أهمُّ وقائع حياته ﷺ من ولادة وبعثة ومعراج وهجرة ووفاة، وقضية الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ تختلف عن قضية تاريخ ميلاده الشريف، إني لأهيب بأصحاب محمد ﷺ أن يكونوا قد غفلوا عنه، وهو أعظم رجل عرفه التاريخ! والبحث عن آثاره معدودٌ من الدين.

ولكن الذي سبَّب الاختلاف في الأقوال... هو ما ابتلي به أهل الجاهلية من النسيئة في السنوات القمرية. وقد أقرَّ الإسلام على ذلك التقويم فيما سبق السنة العاشرة من الهجرة، وألغاها النبي ﷺ يوم النحر من حجة الوداع... إذ قال[2]: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض» ... الحديث.

فالصحابة حين أخبروا عن التواريخ القديمة كان غالبهم اعتمدوا على النقول من الآخرين أو التقويم النَّسِيِّءِ.. فتتوقَّف معرفة تاريخ الولادة - حينئذ - على معرفة النسيئة التي كانت شائعةً لدى الجاهلين في تقويمهم، ومعرفة عمر رسول الله ﷺ بناءً على ذلك.

كم عاش رسول الله ﷺ من السنين؟

اختلفت الروايات على ثلاثة أقوال؛ فعن أنس ٦٠ سنة[3]، وعن عائشة ومعاوية ٦٣ سنة[4]، وأما ابن عباس فروى عمار مولى بني هاشم عنه ٦٥ سنة[5]، وعمرو بن دينار عنه ٦٣ سنة[6]. وقال الحاكم[7]: «وقد اختلفت الروايات في سن سيدنا المصطفى ﷺ، ولم يختلفوا أنه ولد عام الفيل، وأنه بعث، وهو ابن ٤٠ سنة، وأنه أقام بالمدينة ١٠، إنما اختلفوا في مقامه بمكة بعد المبعث، فقالوا: ١٠، وقالوا: ١٢، وقالوا: ١٣، وقالوا: ١٥، فهذا مِحوَر الخلاف في سنه ﷺ». اهـ.

والتطبيق بين الروايات أن رسول الله ﷺ عاش ٧٥٠ شهرًا تمامًا، وهي في التقويم الهجري: ٦٢ سنة، و٦ أشهر، كما قاله مكحول[8] ويعادل بنسيئة كبيسة: ٦٠ سنة

(١) «الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير - للجورقاني» (١/ ٢٦٧) بسنده إلى ابن أبي شيبة، قال: حدثنا عفان، عن سليم بن حيان، عن سعيد بن مينا، فذكره. وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٧٥)، بسنده، وعزاه إلى ابن أبي شيبة في مصنفه، وقال: «وهذا هو المشهور عند الجمهور». اهـ. والحديث المذكور ساقط من المصنف، وسقط من ابن كثير سليم بن حيان، وأثبت الجورقاني الواسطة، والحديث على شرط الشيخين، راجع: «صحيح البخاري» (رقم٥٧٠٧) و«صحيح مسلم» (رقم ٢٢٨٧).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٤٦٦٢)

(٣) «صحيح البخاري» (رقم٥٩٠٠) و«صحيح مسلم» (رقم٢٣٤٧).

(٤) «صحيح البخاري» (رقم٣٥٣٦) عن عائشة ﵂، و«صحيح مسلم» (رقم٢٣٥٢) عن معاوية ﵁.

(٥) «صحيح مسلم» (رقم٢٣٥٣)، وتابعه أبو الحويرث ويوسف بن مهران، وله شاهد عن دغفل السدوسي ﵁ في «الشمائل» (رقم٣٦٦)، ولكنه معلول، ويؤيده رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ﵄ «لقد أنزل الله عليه بمكة عشر سنين وخمس سنين وأكثر». «مشكل الآثار» (رقم١٩٤٥).

(٦) «صحيح البخاري» (رقم٣٩٠٣)، واختلف عن عكرمة، فتارةً روى ٦٥، «سنن الترمذي» (رقم٣٦٢٢)، ونقل عن البخاري مثل ذلك، وتارة ٦٣ «صحيح البخاري» (رقم٣٩٠٢).

(٧) «معرفة علوم الحديث - للحاكم» (ص٢٠٢).

(٨) نقله عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١١٨).

و٨ أشهر، وبنسيئة نقيصة: ٦٥ سنة و٣ شهور.

ما هي النسيئة؟

اختلف الصحابة؛ فعن ابن عباس أنها نقص شهر محرم من كل سنتين، فتكون السنة ١١,٥ شهرًا[٩]، وعن ابن عمرو وابن الزبير أنها كبيسة شهر خلال سنتين أو ثلاث بعد ذي الحجة[١٠]، والراجح: أنه في أول الأمر زيادة شهر، وفي آخر الأمر نقص شهر[١١].

ما هي كيفية الكبيسة؟

السنة الهجرية تشتمل على ٣٥٤ يومًا، و٨ ساعات و ٤٨ دقيقة، وهذه الزيادة تكتمل ١١ يومًا تمامًا خلال ٣٠ سنة، فلمَّا ضبط التقويم القمري جعلوا المحرم ٣٠، وصفرًا ٢٩، وهلم جرًّا، وزادوا يومًا من آخر ذي الحجة خلال سنتين أو ثلاث يسمَّى يوم الكبيسة، والسنوات التي تقع فيها الكبيسة يجمعها قول الشاعر:

كَـفُّ الخليـلِ كفَّـه ديَّانُـه عـن كل خِـلٍّ حبَّه فصانه

فالحروف المعجمة المنقوطة سنوات كبيسة، والمهملة غير المنقوطة سنوات بسيطة، وكانوا يزيدون شهرًا في سنة الكبيسة؛ ليتوافق مع النظام الشمسي، وكان المحرم يوافق آب من الشهور السريانية، وأغسطس من الشهور الرومية، وذو الحجة دائمًا يوافق يوليو أو يونيو.

في أي يوم ولد رسول الله ﷺ؟

أخرج مسلم (٢/ ٨١٩) عن أبي قتادة الأنصاري، عن رسول الله ﷺ في حديث طويل - قال: وسئل عن صوم يوم الإثنين؟ قال ﷺ: «ذاك يوم ولدت فيه، ويومٌ بعثت - أو أنزل علي فيه -». اهـ.

في أي عام ولد رسول الله ﷺ؟

أصحُّ الروايات في هذا الباب ما نصَّ عليه قيس بن مخرمة قال: «ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل»[١٢].

ما هو الشهر الذي ولد فيه رسول الله ﷺ؟

ذهب جمهور العلماء إلى أن رسول الله ﷺ ولد في شهر ربيع الأول[١٣]، وذهب ابن عمرو إلى أنه ولد في رمضان[١٤]، وهو الذي رجحه الزبير بن بكار[١٥]. ولا تعارض بين القولين؛ إذ ولد رسول الله ﷺ في ١٢ من ربيع الأول على التقويم القمري الشمسي من «نسيئة كبيسة» الذي يقابل تشرين الأول من الشهور القبطية، وكان يوافق ذلك رمضان المبارك في التقويم الإسلامي، وحياة رسول الله ﷺ ٦٢,٥ سنة.

ما هو تاريخ ميلاد النبي ﷺ ؟

قد سبق أن ولادة رسول الله ﷺ في ١٢ من شهر ربيع الأول هو المنقول عن الصحابة، وأما ما سواه من الأقوال .. فمبني على الحدس والحساب؛ بناءً على أنه عاش ٦٣ سنة، وليس الأمر كذلك .. ومن أجل هذا، قال أحمد غلوش: «وجمهور المؤرخين وعلماء السيرة يُجمعون على أن رسول الله ﷺ ولد يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل». اهـ[١٦].

قال الإمام النووي: «واتفقوا على أنه ولد يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، واختلفوا.. هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر، فهذه أربعة أقوال مشهورة». اهـ[١٧].

مناقشة القول: بثاني ربيع الأول:

أما القول بأنه ثاني ربيع الأول .. فليس له دليل واضحٌ؛ إلا ما نقله الواقدي عن أبي معشر السندي، ولم يصحَّ عنه، بل نقل الذهبي عنه أنه قال: «ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول». اهـ[١٨].

واستدلَّ بعض الناس له بما أخرجه الفاكهي عن ابن عباس، قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين في أول شهر ربيع الأول .. الحديث». اهـ[١٩]، وليس فيه أي دليلٍ؛ لأن

(٩) «صحيح البخاري» (رقم١٥٦٤)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٧٩٣) و«السنن الكبرى - للبيهقي» (١٠/ ٢٣٤) و«الدلائل في غريب الحديث - للسرقسطي» (١/ ١٠٤).

(١٠) «المعجم الأوسط - للطبراني» (٣/ ١٩٦) و«رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام - للفاكهاني» (٣/ ٣٦٨).

(١١) «أخبار مكة - للأزرقي» (١/ ١٨٢) و«سيرة ابن هشام ت السقا» (١/ ٤٤).

(١٢) «سنن الترمذي» (٥/ ٥٨٩).

(١٣) «صفة الصفوة - لابن الجوزي» (١/ ٢٢)

(١٤) «تاريخ دمشق - لابن عساكر» (٣/ ٦٦) و«الثاني من أجزاء ابن الصواف» (ص: ٥٠).

(١٥) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب - لابن عبد البر» (١/ ٣٠).

(١٦) «السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي - غلوش» (ص١٧٢).

(١٧) «تهذيب الأسماء واللغات - للنووي» (١/ ٢٣).

(١٨) «سير أعلام النبلاء - للذهبي» (١/ ٣٦).

(١٩) «أخبار مكة» (٣/ ٣٨٤).

الحديث الأول يشرح الأولية بالنصف الأول؛ بدليل إثباته للوفاة ودخول المدينة.

مناقشة القول: بثامن ربيع الأول:

هذا القول يعتمد على الحساب؛ بناءً على أن عمر رسول الله ﷺ ثلاثة وستون عامًا سواء، وأثبته جماعة[٢٠]، ولم أجد بعد طول البحث ما يبرر ذلك عن أحد من الصحابة؛ لا عن ابن عباس، ولا عن جبير بن مطعم. وإنما نُسب ذلك إلى الفلكي أبي عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي[٢١] أنه قال: «كان قدوم الفيل مكة وأصحابه لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم يوم الأحد، وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة، وولد رسول الله ﷺ بعد ذلك بخمسين يومًا، يوم الإثنين لثمان خلت من ربيع الأول، وذلك يوم عشرين من نيسان». اهـ باختصار.

ويكفي ما في هذه المقالة من التناقض لردها؛ فإن غرة محرم إذا كانت يوم الجمعة، فلا يكون التاريخ الثالث عشر منه يوم الأحد، بل يوم الأربعاء، وخمسون يومًا بعده يوافق الرابع من شهر ربيع الأول غالبًا لا الثامن؛ إلا أن نقول: كلمة «خلت» في كلامه محرفة عن «بقيت». وكلام الخوارزمي هذا لا يستند إلى نقل من المؤرخين؛ بل هو يعتمد على من سبقه من الفلكيين[٢٢].

مناقشة القول: بعاشر ربيع الأول:

هذا القول منقول عن التابعي الجليل محمد بن علي الباقر، قال: «ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول، وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك للنصف من المحرم. فبين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ خمس وخمسون ليلة». اهـ. ومردُّه إلى الثاني عشر؛ قال ابن حديدة (ت: ٧٨٣هـ): «وكان قدوم الفيل في نصف المحرم وهلك أصحابه يوم الأحد». اهـ. وسبق من كلام الخوارزمي أيضًا أنه يوم الأحد، وكلام الباقر وابن حديدة يدلان على أن هلاك أصحاب الفيل كان ١٥ من المحرم[٢٣].

وقول الباقر: «فبين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ خمس وخمسون ليلة» .. يوافق العاشر من شهر ربيع الأول إذا تصورنا المحرم والصفر تامين، ومع هذا لا يوافق يوم الإثنين، بل يوافق يوم السبت، وقد سبق الاتفاق على مولده يوم الإثنين، فمرد هذا القول إلى الثاني عشر؛ ويؤيده أن الباقر من أخص تلامذة جابر، وأن القول بالعاشر بطرح الكسور.

ترجيح القول: بثاني عشر ربيع الأول:

محمد بن إسحاق بن يسار إمام المغازي والسير (ت:١٥٠هـ) هو رائد هذا القول من أصحاب السير، ونقل ذلك عنه غير واحد من المحدثين مع إقراره عليه[٢٤]، وهو من تلاميذ سعيد بن ميناء، فمردُّ القول إلى الحديث السابق. وكانت ولادة الرسول ﷺ توافق يوم الاثنين ١٩/ ١٠/ ٥٧١م، كما يساوي ١٢/ ٩/ -٥٢ق.هـ، ويعادل ١٢/ ٣/ عام الفيل من التقويم الكناني (نسيئة كبيسة).

وختاما، فإنما هذا البحثُ محاولةٌ لتقصي حقيقة تاريخ مولد النبي ﷺ، بالنظر في الروايات، وضبط الحساب، ومقارنة الشهور والتقاويم، دون قصد إلى تقرير حكمٍ أو نفي عادة، فمجالُه: التوثيق التاريخي لا التوجيه العملي، ومنطَلَقُه: حبُّ النبي ﷺ، وتعظيمُ سيرته، وتتبُّع آثاره، وهو ميدان يلتقي فيه المحبّون جميعًا، وإن تنوّعت مسالك تعبيرهم عن تلك المحبة. فليقرأه من شاء بعين الدليل، لا بعين الجدال، فإن الحديث عن مولده ﷺ نفحةُ قرب، وسعيٌ في خدمة السيرة، وقليلٌ من الوفاء لحبيبي الذي هو أولى بي من نفسي، ومن جميع أسباب المحبة، حشرنا الله مع حبيبنا الصادق الأمين، وشآبيب الرحمات وأفضل الصلوات وأزكى التسليم على من كان رحمة للعالمين.

---

(٢٠) «جوامع السيرة - لابن حزم» (ص: ٧) و«الاستيعاب لابن عبد البر» (١/ ٣١) و«السيرة الحلبية - للحلبي» (١/ ٨٤) و«المواهب اللدنية - للقسطلاني» (١/ ٨٥) و«البدء والتاريخ - للمطهر المقدسي» (٤/ ١٣٢)

(٢١) وكان من أهل الزيج والتاريخ كما في «الأعلام» (7/ 116)، وهو غير الحافظ أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي الحنفي (ت: ٤٠٣هـ)، ووهم ابن كثير، فجعلهما واحدًا.

(٢٢) «وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام - لابن قنفذ» (ص٤٤). وراجع: «سيرة خاتم الأنبياء - للمفتي شفيع» (ص٢٠).

(٢٣) «الطبقات الكبرى - لابن سعد» (١/ ٨٠) و«المصباح المضي - لابن حديدة» (١/ ٢٤).

(٢٤) «سيرة ابن هشام» (١/ ١٤٦) و«تاريخ الطبري» (٢/ ١٥٦) و«المستدرك - للحاكم» (٢/ ٦٥٩) و«شعب الإيمان -للبيهقي» (٢/ ٥١٢) و«دلائل النبوة - له» (١/ ٧٤) و«إتحاف المهرة - لابن حجر» (١٩/ ٤١٧) و«الكامل في التاريخ- لابن الأثير» (١/ ٤١٦) و«تاريخ دمشق - لابن عساكر» (٣/ ٧٠) و«السير - للذهبي» (١/ ١٥٠) و«تاريخ الإسلام» (١/ ٢٦) و«العقد الفريد - لابن عبد ربه» (٥/ ٣) و«مشاهير علماء الأمصار - لابن حبان» (ص٢١) و«السيرة النبوية وأخبار الخلفاء» (١/ ٣٣) و«تفسير الموطأ - للقنازعي» (١/ ٢٩٩) و«أقضية رسول الله ﷺ - للطلاعي» (ص: ١٣٤) و«الرصف لما روي عن النبي ﷺ من الفعل والوصف - للعاقولي» (١/ ٣٢) و«تاريخ ابن خلدون» (٢/ ٤٠٧).

ولكم في رسول الله أسوة حسنة

أ. محمد أسامة عبد الرحيم

خلق الله بني آدم، وجعلهم بفطرتهم البشرية يتعلّم بعضهم من بعض، ويتأثر بعضهم من الآخر، فكلُّ إنسان يتأثر في حياته بأشخاص ويتخذهم قدوة، يرى فيهم المثل للاتباع، سواء في الخير أو الشرّ.

ولا شك أن التعليم عن طريق التأسي من أسرع الطرق، فالمرء ينجذب إلى من يراه قدوة له، يتأثر بسيرته، ويتبع خطاه، ويحاول أن يتشبه به في أقواله وأفعاله. وهذا ما يُعرف بالتأسي، يظهر منه منذ صغره، ويستمرّ معه في كل مراحل حياته، ففي مرحلة الرضاعة والفطم يتعلم الكلام والحركة والسلوك ممن حوله، يحاكيهم فيتعلم، وفي مرحلة النبوغ والكمال يأخذ طريقة تفكيره ويكتسب من أفعاله وتصرفاته كثيرا من بيئته التي يعايشها.

والتأسي هو الذي يحدّد اتجاه الإنسان، يؤثر في أخلاقه وحياته ومصيره وعاداته وسلوكه وشمائله، فهو وسيلة راقية لاكتساب الأخلاق، وبناء الشخصية، ومِن ثَمَّ كان التأسي أمرًا مهمًّا في حياة الفرد والمجتمع، لأنه يسهم في نشر القيم وتهذيب النفوس.

وديننا يشتمل على إرشادات وتوجيهات إلى هذا الأمر المهم، فبيّن أن أعظم طريق للإصلاح هو الاقتداء بالأخيار، ورغّب في اتخاذ القدوة الصالحة، واعتبر ذلك من أعظم وسائل الهداية والتربية، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] وفي جانب آخر فقد حذّر من اقتفاء آثار أهل الضلال، لأنهم يُفسدون الأخلاق ويصدّون عن الحق.

ولقد أكثر الله تعالى من قصص الأنبياء السابقين و ذكر نُبذًا من حياتهم عليهم الصلاة والسلام لا لمجرد التسلية، بل لتزيد المؤمن إيمانًا، وليجعلهم نصب عينيه ويتخذهم أسوة وقدوة حسنة، فيقتدي بهم في أفعالهم ودعوتهم وقيامهم وصبرهم على المحن التي ابتلاهم الله عز وجل بها، ويتعلم منهم كيف كانوا يأتمرون في أقوالهم بأمر الله سبحانه وبشريعته.

ومن بين كل البشر، كان النبي محمد ﷺ هو أعظم قدوة وأكمل إنسان، جعله الله تعالى قدوة للمؤمنين، فقال : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]

قال ابن كثير:[1] هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

والقرآن يحث على ضرورة الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، والنصوص المرشدة إلى ذلك كثيرة جداً، فمنها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:٣١] ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢] وغير ذلك من الآيات.

ومن هنا يتأكد ويتحتّم علينا أن نعرف سيرة النبي ﷺ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: سورة الأحزاب: الآية: ٢١، ص: ١٧٠/ ٦.

منذ أن وُلد إلى أن توفي، ولا سيما سيرته بعد أن أكرمه الله تعالى بالرسالة، حتى نعرف أحواله وأخلاقه وعباداته ودعوته وأعماله ليتم لنا التأسي به، ولا شك أن معرفة سيرة النبي ﷺ مما تزيد الإنسان إيمانًا ومحبة له، وتُقَوِّيْ تأسيه بالأسوة الحسنة ﷺ.

وقد ربّى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على اتباعه، وغرس في نفوسهم ضرورة التأسي به، ويدل على ذلك قول جابرٍ رضي الله عنه: «ورسول الله ﷺ بين أظهرنا. وعليه ينزل القرآن. وهو يعرف تأويله. وما عمل به من شيء عملنا به»[٢]، وقد قال النبي ﷺ عام حجة الوداع: «لتأخذوا مناسككم. فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[٣].

وكان النبي ﷺ أكمل الناس، متصفا بمعالي الصفات التي تجعله جديرا لأن يكون أعظم أسوة لجميع السالكين.

فكان ﷺ أسوة في العبادة والطاعة؛ يقوم الليل ويصوم النهار ويذكر الله كثيرًا، وأسوةً في الرحمة والتواضع، يعامل الصغير والكبير بلين ورحمة، يعفو عن العدو ويتغاضى عن عيوب القريب، وأسوة في الخلق الحسن؛ حتى قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»[٤]، وأسوةً في الصبر والثبات؛ فقد صبر على الأذى والجوع والشدائد، وأسوةً في العدل والإحسان؛ فلم يظلم أحدًا، وكان ينصف حتى اعترف خصومه بعدله وأمانته.

وقد تجلّت رحمته في كونه أسوة في جوانب كثيرة، منها:

- التأسي به في كونه ميسِّرا على الناس؛ فلم يكن النبي ﷺ يكلّف الناس ما لا يطيقون، بل كان يختار أيسر الأمور ما لم يكن فيه إثم، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا»[٥]

- كان يربّي ويعلم أصحابه بالشفقة والحنان لا بالزجر، فلم يكن يعلّم الناس بالصراخ أو القسوة، بل بالتحمل والرفق، فكانت أسوته رحمة تُحبّب الناس في الدين، وتجلبهم إليه. ويظهر هذا جليا في قصة أعرابي جاء فبال في المسجد، فقام الناس ليأخذوه، فمنعهم النبي ﷺ وقال: «دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[٦].

وكما يظهر في قصة معاوية بن الحكم السلمي حيث أتى في الصلاة بما لا يُباح فيها، فزجره الناس بأبصارهم، ولكنه يذكر موقف النبي ﷺ ويقول: «فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني». قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[٧]

- سنته شاملة لجميع جوانب الحياة، فهو أسوة للغني والفقير، والقائد والجندي، والأب والابن والمعلم والمتعلم؛ لأن حياته كانت مليئة بمواقف تُناسب كل شخص. وهذا من رحمته، فكل إنسان يجد في سيرة النبي ﷺ ما يُعينه.

فمن أراد طريق الحق والرشاد، والهداية والسداد، فليتخذ من النبي ﷺ أسوته، فإنه خير مَن مشى على الأرض، وخير مَن دلّ الناس على طريق الجنة، وهديه هديٌ لا اعوجاج فيه، وليس التأسي به مجرد التأسي، وإنما هي رحمة لمن اقتفى أثره واتبع خطواته، فلم تكن رحماته ﷺ مقتصرة تظهر في معاملاته ومعايشاته، وإنما كان رحيمًا في كونه أسوة، ومنارة يهتدي بها الناس، لأنه دلّهم على الطريق الصحيح برفق، وأرشدهم إلى الجنة برحمة، فصار التأسي به ﷺ سببًا للهداية والراحة في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

يا ربِّ صلِّ على النبي وسلِّمِ
المصطفى الهادي البشير الأكرمِ
تعداد ما في أرضنا وسمائنا
مما علمنا عنه، أو لم نعلمِ

(٢) رواه مسلم في حديث طويل، رقم الحديث: (١٢١٨)، باب حجة النبي ﷺ، كتاب الحج.

(٣) رواه مسلم، رقم الحديث: (١٢٩٧)، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا.....، كتاب الحج.

(٤) رواه مسلم ولفظه: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن، رقم الحديث: (٧٤٦)، باب جامع صلاة الليل...، كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) رواه مسلم بهذا اللفظ، رقم الحديث: (٢٣٢٧)، باب مباعدته ﷺ للآثام...، كتاب الفضائل.

(٦) رواه البخاري بهذا اللفظ، رقم الحديث: (٢٢٠)، باب صبّ الماء على البول في المسجد، كتاب الوضوء.

(٧) رواه مسلم بهذا اللفظ، رقم الحديث: (٥٣٧)، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

لمحة تاريخية من دعوة النبي ﷺ في القرآن الكريم

أ. محمد إلياس بن عمرن

قصَّ اللهُ تعالى علينا أنباء النبي محمد ﷺ في كتابه العزيز، ومن هذه الأنباء بعض أوصافه ﷺ، التي كانت سببا لخروج الناس من الظلمات إلى النور، هي كالزاد لكل من أراد خدمة دين الله تعالى، فنذكرها هنا مع بيان أحوال الناس قبل بدء دعوة النبي ﷺ وبعدها.

أحوال الناس قبل دعوة النبي ﷺ:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل:٥٨-٥٩]

القصد من ذكر هذه الآية: الإشارة إلى البيئة التي كانت مبدأ دعوة النبي ﷺ، فكان أحدُ مشركي العرب إذا جاء امرأتَه المخاضُ، توارى إلى أن يعلم ما يولد له، فإن كان ذَكراً سُرَّ به، وإن كانت أنثى، لم يظهر أياماً يُدَبِّر كيف يصنع في أمرها، وكانوا يدفنون البنات وهن أحياء، ويشربون الخمر ويقاتلون للعصبية، فمن تاب منهم ودخل في الإسلام تاب الله عليه.

أحوال دعوة النبي ﷺ:

هي مشتملة على الأعمال التي كان لها دور كبير في دخول الناس في الإسلام وتحليهم بصفات حميدة.

عمله ﷺ في الليل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الدهر: ٢٦] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وكان ﷺ يمتثل جميع ما يؤمر به من الله تعالى، فكان ﷺ يقوم أمام الله ليلا طويلا ويناجي ربه، يشهد له بذلك القرآن ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزمل: ٢٠]

عمله ﷺ في النهار:

﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧] قال الماتريدي في تفسيره (تأويلات أهل السنة): قوله عز وجل:﴿إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: أي: فراغا وسعة ومنقلبا؛ فالسبح يذكر ويراد به الفراغ، ويذكر ويراد به المشي والتقلب، وهذا الذي قالوه محتمل، ولكن لا يجيء أن يصرف تأويل الآية إلى الفراغ، والتقلب إلى حوائج نفسه؛ لأن رسول الله ﷺ لم يكن يتناول من الدنيا إلا قدر ما يقيم به صُلبَه؛ فلا يحتاج إلى فضل تقلب، ولا إلى كثير فراغ؛ ليتوسع في أمر دنياه. ولكن حقه أن يصرف قلبه إلى تبليغ الرسالة، ودعوة الخلق إلى توحيد الله تعالى، وإلى ما يجب عليهم؛ فيكون في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ ترخيص لرسول الله ﷺ في أن ينصب بالليالي للقيام بين يَدَيْ ربّه، واجتزأ منه بتبليغ الرسالة بالنهار.

وفي التفسير المظهري: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾، والسبح سرعة الذهاب، ومنه السباحة في الماء يعني: إن لك بالنهار ذهابا في مهامك ولدعوة الخلق وتبليغ الأحكام واشتغالا بها. فكان شغله ﷺ في النهار دعوة الخلق إلى الله.

فكره ﷺ:

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣]، ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].فكان ﷺ يحزن إشفاقًا على الناس أن يُلقوا في النار بتركهم الإيمان.

وفي تفسير الماتريدي: «...عندنا ليس يخرج على النهي، ولكن على التسلي والسلوة... وفيه تذكير للمسلمين وتنبيه لهم من وجهين، أحدهما: ما أخبر عن عظيم محل الذنوب في قلبه، فلعل ذلك يؤذيه، فيلحقهم اللعن؛ كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ الله...﴾الآية، وفي ذلك زجر عن ارتكاب ما

يسوؤه، ويؤذيه.

والثاني: تعليم منه لأمته: أنه كيف يُعامَل الكفرة وأهل المنكر منهم، يقاتَلون في الظاهر، ويُضمِرون الشفقة لهم في القلب على ما فعل بهم رسول الله ﷺ، وعاملهم. كان النبي ﷺ دائم الفكرة، متواصل الأحزان، ليست له راحة.

ما تَحمَّلَ ﷺ من الأذى أثناء دعوته:

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ... وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦] ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٢٩-٣٠] ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التوبة: ٦١] ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون: ٧]. فالنبيّ ﷺ أُوذي في الله ما لم يُؤذَ أحد، قيل له «مجنون» و«ساحر»، وكسرت رباعيته، ونزل جبريل ومَلَك الجبال عليهما السلام لشدة أذاه ﷺ في رحلة الطائف.

خُلُقُه ﷺ:

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف، ولا لم صنعت، ولا ألا صنعت»(١).

وفي سنن الترمذي: عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: سألت عائشة، عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «لم يكن فاحشا ولا متفحشا، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح»(٢).

أحوال الناس بعد دعوته ﷺ:

﴿لَقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٨-٩]

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩]

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٧]

تحلى الصحابة رضي الله عنهم في صحبته ﷺ بالإيثار والرحمة فيما بينهم، وهاجروا للإسلام، ونصروا الدين، لا تلهيهم تجارتهم عن أحكام الله، رضي الله عنهم، وشرع الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فهذا نتيجة جهد النبي ﷺ.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب:٢١] فَإِذَنْ، ظهرت هذه النتيجة بقيام الليل، وجهد النهار، والفكر المحرق، وتحمّل الأذى، والخلق العظيم....

فيا أيها القارئ الكريم، هيا بنا نعزم كعزم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ قال: أينقص الدين وأنا حيّ؟!!، رِدَّةٌ ولا أبابكر لها؛ فإنه رضي الله عنه قد اقتدى بالنبي ﷺ في فكره ودعوته، فقوله المذكور يشبه قوله تعالى في النبي ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣].

فاعزم...! فإنه لن يصلُحَ آخرُ هذه الأُمَّةِ إلّا بما صلُح به أوَّلُها.

(١) «صحيح البخاري» (رقم٦٠٣٨).

(٢) «سنن الترمذي» (رقم٦٠١٦).

رشح القلم فيما ورد في المحرم

أ. عمار عبد الحفيظ

الأيام والليالي ظروف خالية، يملؤها الإنسان بما وفّق لها من أعمال الخير والعبادات، والأفعال التي تجلب مرضاة الله تعالى، إلا أن بعض الساعات أفضل من بعض، ولها مزايا وفضائل ذكرتها الأحاديث والآثار، فينبغي للمؤمن بربّه أن ينتهز هذه الفرص الربّانية؛ فإنها نفحات من مِنَنِ الله الكريم، قال بعض السلف لأحد مريديه: «إن لله نفحات في الليل والنهار، تصيب القلوب المتيقّظة، وتخطيء القلوب النائمة، فتعرّض لتلك النفحات؛ ففيها الخيرة»[1].

وفي الحديث الشريف: «تعرّضوا لنفحات الله في أيام دهركم؛ فإن لله نفحات عسى الله أن يصيبكم منها بواحدة فلن تشقوا بعدها أبدا»[2].

فالاهتمام لمثل هذه الأيام والليالي مشروع، إلا أن اجتناب المنهيات والتقاليد المرسومة بالتقيد ببعض العبادات المخصوصة مما لم يحبّذه الشرع حتْمٌ لازمٌ.

وقد وردت في فضل شهر الله المحرّم الحرام أحاديث وآثار، فرأيت أن ألتقط الدرر والجواهر من كلام سيد المرسلين ﷺ مما ورد في فضل هذا الشهر الميمون الذي اعتقد بعض الناس فيه اعتقادًا سيئًا، وتشاءموا به؛ فيتبدّى للقرّاء أهمية هذا الشهر وفضله، ويمنه وبركته، وأن السعادة كل السعادة في اغتنام هذه الفرص وانتهازها في أعمال الخير والعبادات، والاشتغال بما هو الأفضل الموصل إلى مرضاة الله تعالى، والسعادة في الدارين، وأعلّق على الأحاديث بعض التعليقات النافعة اليسيرة حتى تتمّ الفائدة، ويعمّ النفع.

أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر محرم:

روى مسلم [3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

وفيه أن محرّم شهر الله، وهذه إضافة تشريف وتعظيم؛ إذ الشهور كلها لله تعالى، فخُصّ بالذكر؛ تنويها وتعظيما، والله أعلم.

أمره ﷺ صوم أشهر الحرم:

روى أبو داود في سننه[4] عن مجيبة الباهلية، عن أبيها، أو عن عمّها، أنه أتى رسول الله ﷺ ثم انطلق، فأتاه بعد سنة وقد تغيّرت حالُه وهيئَته، فقال: يا رسول الله، أما تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي الّذي جئتُك عام الأول. قال: فما غيّرك، وقد كنت حسن الهيئة؟ قال: ما أكلتُ طعاما منذ فارقتك إلا بليل. فقال رسول الله ﷺ: لم عذّبت

(١) ذكره أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت:٣٨٦ هـ) في قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (١/ ٧١)، وأبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت:٥٠٥ هـ) في إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٨).

(٢) رواه أبو بشر محمد بن أحمد الدَّولابي (ت: ٣١٠ هـ) في الكنى والأسماء، (٣/ ١٠٣١، رقم الحديث: ١٨١٠).

(٣) رواه مسلم (رقم ١١٦٣)، وأبو داود (رقم ٢٤٢٩)، والترمذي (رقم ٧٤٠)، والنسائي (رقم ١٦١٣)، واللفظ للأول.

(٤) رواه أبو داود (رقم ٢٤٢٨)، والنسائي في الكبرى (٢٧٥٦)، وابن ماجه (رقم ١٧٤١)، وأحمد (رقم ٢٠٣٢٣)، وقد اختلف في مجيبة، وأبيها وعمها؛ لاختلاف الروايات، وضعّف بعضهم هذا الحديث للخلاف المذكور، قال المنذري في مختصر أبي داود (٢/ ١٢١): وقد وقع فيه الاختلاف، وأشار بعض شيوخنا إلى تضعيفه لذلك، وهو متوجّه. قال الشوكاني في نيل الأوطار (٤/ ٢٩٣): وفيه نظر؛ لأن مثل هذا الاختلاف لا يعدّ قادحا في الحديث. اهـ. أقول: جهالة الصحابي لا يضرّ، وجهالة التابعين من القرون الفاضلة، ولا سيما من القرن الأول غير قادح عند أرباب الحنفية رحمهم الله.

نفسك؟ ثم قال: صُم شهر الصبر[٥]، ويوما من كل شهر. قال: زدني؛ فإن بي قوّة. قال: صُم يومين. قال: زدني. قال: صم ثلاثة أيام. قال: زدني. قال: صُم من الحُرُم واترُك، صُم من الحُرُم واترُك، صُم من الحُرُم واترُك. وقال بأصابعه الثلاثة فضمّها ثم أرسلها.

وفي الحديث دليل على مزيد رأفته ﷺ بأمته، وعلى الترغيب في صيام الأشهر الحرم، والأشهر الحرم كما سئل عنها أعرابيٌّ يتفقّه، فقال: أربعة، ثلاثة سرد، وواحد فرد[٦]، وقد كان بعض السلف يصوم الأشهر الحرم كلها، منهم ابن عمر، والحسن البصري، وإسحاق السبيعي، وقال الثوري: الأشهر الحرم أحبُّ إليّ أن أصوم فيها[٧].

شهر المحرم شهر الله تعالى:

روى الإمام أحمد في مسنده[٨] عن النعمان بن سعد قال: قال رجل لعليّ: يا أمير المؤمنين، أيّ شهر تأمرني أن أصوم بعد رمضان؟ فقال: ما سمعت أحدا سأل عن هذا بعد رجل سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي شهر تأمرني أن أصوم بعد رمضان؟ فقال: «إن كنت صائما شهرا بعد رمضان فصُم المحرّم، فإنه شهر الله، وفيه يوم تاب على قوم، ويتوب فيه على قوم».

فيه فضل المحرم، وأنه شهر الله تعالى، وهي إضافة تشريف وتعظيم.

فضل صوم عاشوراء، وأنه يوم من أيام الله تعالى:

روى البخاري في صحيحه[٩] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان، وكان يوما تستر فيه الكعبة، فلما فرض الله رمضان، قال رسول الله ﷺ: «من شاء أن يصومه فلْيصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه».

قال الترمذي عقب الحديث: «والعمل عند أهل العلم على حديث عائشة **رضي الله عنها**، وهو حديث صحيح، لا يرون صيام يوم عاشوراء واجبا إلا من رغب في صيامه؛ لما ذكر فيه من الفضل».

وروى مسلم[١٠] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله ﷺ صامَهُ والمسلمون قبل أن يفترض رمضان، فلما افترض رمضان قال رسول الله ﷺ: «إن عاشوراء يوم من أيام الله ، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه».

وفي الحديث أن عاشوراء يوم من أيام الله تعالى، والكل أيام الله تعالى؛ لأنه ورد في الحديث القدسي: «أنا الدهر، أقلّب الليل والنهار»[١١]، إلا أنه خصّ يوم عاشوراء بالذكر؛ تنويها بعظمته في النفوس وزيادة فضله على ما عداه من الأيام. والله أعلم.

صوم يوم عاشوراء لإظهار شكر الله تعالى:

روى مسلم[١٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صيامًا يومَ عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم؛ أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه. فقال رسول الله ﷺ: فنحن أحقّ وأولى بموسى منكم. فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه.

فهذه بعض الأحاديث التي أوردت في هذا الباب، وللبصير فيها مغتنم، فليغتنم ولينتهز.

---

(٥) **شهر الصبر**: هو شهر رمضان، وأصل الصبر هو الحبس. (قاله الخطّابي في معالم السنن ٢/ ١٣٠).

(٦) ذكره الخطّابي في معالم السنن، (٢/ ١٣١).

(٧) ذكره ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) في لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، (٢١٤).

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٣٢٢)، قال الشيخ أحمد محمد شاكر: إسناده ضعيف، وصحّحه ابن حبان وابن عبد البر وابن حزم.

(٩) رواه البخاري في صحيحه (١٥٩٢)، ومسلم في صحيحه (١١٢٥)، وأبو داود في سننه (٢٤٤٢)، والترمذي في جامعه (٧٥٣)، واللفظ للأول.

(١٠) رواه البخاري (١٨٩٢)، ومسلم في صحيحه (١١٢٦)، واللفظ له، وأبو داود في سننه (٢٤٤٣).

(١١) رواه مسلم (٢٢٤٦).

(١٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٠٠٤)، ومسلم في صحيحه (١١٣٠)، وأبو داود في سننه (٢٤٤٤).

شهر الله المحرم

أ. أبو دجانة

إن الله تبارك وتعالى عظيم المنّ، جزيل العطاء، ولا يعرى شأن من شؤونه عن الحكمة، ومن مظاهر حكمته تفضيل بعض الأشياء على البعض.

كما فضل بعض الأنبياء على البعض قائلا : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وتوّج بعض عامة البشر أيضا بتاج الفضيلة ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١] وكذا رفع شأن بعض الأزمنة على الأخرى منها الأشهر الحرم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦]

وشهد النبي ﷺ لها بالحرمة والفضل واعظا:

عن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان».(١)

فوددت أن يقطر قلمي على خدود الأوراق بعض السطور، تلقي الضوء على حرمة شهر الله المحرم، بها يزداد المسلم احتراما له، فيبعثه الاحترام إلى الإصغاء إلى رسالته، مستنيرا بها في حياته.

فحي هلا بكم إلى روضة فيها من كل نَور ربيع المحرم لنروح نفوسنا ونبرد غلة عطشنا من فضائله التي تهيجنا إلى جني ثمار رسائله مقتبسين من أوعية ميراث النبوة:

شهر الله المحرم هو من أحد الأشهر الحرم التي تنجلي حرمتها بما ذكرنا من الآية ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]. قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره: «خص الله تعالى الأشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفًا لها، وإن كان منهيًا عنه في كل الزمان، وعلى هذا أكثر أهل التأويل، أي: لا تظلموا في الأربعة أشهر الحرم أنفسكم».

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثنى عشر شهرًا، وأن الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تُعمر بطاعته، ويُشكر الله تعالى على مِنتِه بها وتقييضها لصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحُرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصًا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد من غيرها». ويتبين فضل هذا الشهر أيضًا بإضافته إلى الله عز وجل فيقال: (شهر الله المحرم) وهذه إضافة تشريف وتفضيل، كمثل: بيت الله وناقة الله.

وشهر الله المحرم له فضل عظيم، حتى عدَّه بعض السلف أفضل الأشهر الحرم.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وقد اختلف العلماء في أي الأشهر الحرم أفضل؟ فقال الحسن وغيره: أفضلها شهر الله المحرم، ورجحه طائفة من المتأخرين، وروى وهب بن جرير عن قرة بن خالد عن الحسن، قال: إن الله افتتح السنة بشهر حرام وختمها بشهر حرام، فليس شهر في السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم، وكان يسمى شهر الله الأصم من شدة تحريمه»(٢).

(١) «صحيح البخاري» (رقم٣١٩٧)

(٢) «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص٨٧).

وروى النسائي رحمه الله: حدثني أهبان ابن امرأة أبي ذر، قال: سألت أبا ذر قلت: أي الرقاب أزكى؟ وأي الليل خير؟ وأي الأشهر أفضل؟ فقال أبو ذر: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني وأخبرك كما أخبرني قلت: يا رسول الله أي الرقاب أزكى؟ وأي الليل خير؟ وأي الأشهر أفضل؟ فقال لي: «أزكى الرقاب أغلاها ثمنا، وخير الليل جوفه، وأفضل الأشهر شهر الله الذي تدعونه المحرم»[٣].

ومما يذيع مسك فضله ما ورد: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام، بعد رمضان، شهر الله المحرم»[٤].

وزاده الله بهاء إذ أحق فيه الحق وأبطل الباطل بتطهير أرضه من فرعون وجعله نكالا، وإراحته منه العباد والبلاد والشجر والدواب، وتقليده أعناق حزبه قلادة النجاة منه بمنه وفضله جل وعلا، يروي الامام البخاري رحمه الله في صحيحه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، لما قدم المدينة، وجدهم يصومون يوما، يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكرا لله، فقال «أنا أولى بموسى منهم». فصامه وأمر بصيامه[٥].

فإخواني الكرام، لم يزرنا هذا الشهر كضيف ثقيل يُحرج من نزل عندهم، أو كزائر زيارة ليس وراءها هدف، إنما جاءنا يحمل بين جوانحه منائح وتحفًا يريد أن يكرمنا بها، ويهمس في آذاننا بأهداف تحقق لنا الخير في الآخرة والأولى، فهلموا لنكشف الستر عما يطوي لنا شهر الله المحرم بين طياته:

فالشهر المحرم يهتف طورا: يا أمة الإسلام، كفّي عما أنتِ عليه من محاربة الله تعالى، يلقاك بأنعم تبادرينه بالمعاصي، ينبهك وأنت على قيد الحياة ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾. فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، فإن المحسن إليك يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها، فأرجوك أن تكوني قد أصلحت ما بينك وبين ربك قبل أن أغادرك، حتى يصلح الله ما بينك وبين الناس.

ويهمس تارة: أتيتك يا خير الأمة بعمل تنالين به ربك، ألا وهو الصوم فيّ، يقول عزّ اسمه: الصوم لي وأنا أُجزى به، وجدير بالذكر صوم اليوم العاشر، فبه يتساقط عنك درن سنة كاملة، كذا روى أبو قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»[٦]، فانظري أيتها الأمة المرحومة، مدى ارتفاع سعر صومك فيّ، وهل تدرين لم ذاك؟ لكي لا تحزني على قصر عمرك مفكرةً كيف أبلغ مبلغا في التحنث الذي بلغته الأمم السابقة لطول أعمارها؟ فإنك مُنِنت ببراق في بعض الأزمنة كأمثالي تمتطين متنه جائبة مسافة بعيدة في مدة وجيزة، وكان نبيك ﷺ يفضل صوم هذا اليوم على غيره: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني شهر رمضان»[٧].

فأكثري من الصوم فيه مخلصة، وأنا ضامن لك بكل ما ذكرت لك من العدة.

أحب أن أعرج هنا على نكتة وهي: أن النبي ﷺ لما عرف عن صوم اليهود عاشوراء، أراد في العام المقبل أنه يزيد يوما تحرزا عن التشبه بهم حتى في العبادة، فمن يتقي التشبه بالأغيار في التعبد كيف يتحمل التشبه بهم في غيره من المعاملات والأخلاق والمعاشرة فعلى كل مسلم أن يتصفح أوراق حياته ملتمسا قذر التشبه بهم سواء كانت في الصورة أو السيرة أو السريرة (خواطر قلبه) فإن وجده قَشَطَه وضرب به عرض الحائط.

يا باحثا عن البركة، تعال آخذ بيدك إلى مشكاة النبوة تضيء لك الطريق إليها: عن علقمة، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «من وسّع على عياله يوم عاشوراء لم يزل في سعة سائر سنته»[٨].

الحديث وإن كان ضعيفا عند بعض المحدثين، إلا أنه روي عن جابر رضي الله عنه وغيره من الأئمة[٩]: كلما جربنا استفدنا. ولتفهم أن منال هذه الفضيلة لا يقتصر على تجهيز طعام معيّن، كما يراه بعض متبعي الهوى، أن الفضيلة

(٣) «السنن الكبرى للنسائي» (رقم٤٢٠٢).

(٤) «صحيح مسلم» (رقم١١٦٣)

(٥) «صحيح البخاري» (رقم٣٣٩٧)

(٦) «صحيح مسلم» (رقم١١٦٢)

(٧) «صحيح البخاري» (رقم ٢٠٠٦)

(٨)«المعجم الكبير للطبراني» (رقم ١٠٠٠٧)

(٩)قال جابر رضي الله عنه، وهو راوي الحديث: جرّبناه فوجدناه كذلك، وقال أبو الزبير وشعبة مثله (الاستذكار لابن عبد البرّ، ٣/ ٣٣١).

المذكورة لا تنال إلا بنصب القدور لطبخ (الحليم) ويعتبره الفرض والواجب، فيقع في ذنب اعتقاد شيء واجبا لم يُلزمه الشرع، والذنب داع إلى آخر، فإنك تشاهد أن الساعي لهذه المهمة يجمع التبرع ممن يقدم له بطيب خاطره وممن لا يعطيه إلا كرها، و لا يحل مال امرئ إلا عن طيب نفس منه، ثم راج نصب القدور ليلا مع ضرب الدفوف، وكلا الأمرين يعكّران الليلة على المرضى والمعمَّرين لياليهم بالعبادة، فإياك أن تتقلد حية مغترا بتزخرفها، أما الفضيلة فإدراكها يسير على من يسر الله عليه وذلك بوسعة توسعها بقدر ما وسع الله عليك.

أيها المسلمون، أنتم داخلون اليوم عامًا جديدًا إسلاميًا هجريًا ابتدأ من أجل مناسبة في الإسلام، ألا وهي هجرة النبي ﷺ التي ابتدأ بها تكوين هذه الأمة في بلد إسلامي مستقل يحكمه المسلمون، ألا وهو المدينة النبوية التي استقر فيها الإسلام واستقام فيها عُوده حتى فتح الله به بلدان كثيرة جدًا، لم يكن التاريخ السنوي معمولًا به في أول الإسلام حتى كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه أبو موسى الأشعري إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الصحابة رضي الله عنهم فاستشارهم، فانتثرت درر الآراء، و بعد بحث وتمحيص قال عمر رضي الله عنه: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا منها فأرخوا من الهجرة، واتفقوا على ذلك أن تكون أول السنوات الإسلامية، هي السنة الأولى من الهجرة، واتفقوا على ذلك ولكنهم تشاوروا «من أي شهر يكون ابتداء السنة؟» فقال بعضهم: من رمضان؛ لأنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، وقال آخرون: من ربيع الأول؛ لأنه الشهر الذي قدم فيه النبي ﷺ فيه المدينة مهاجرًا، ولكن عمر وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم – وهم الخلفاء الثلاثة أفضل الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنه – اتفقوا على أن يكون ابتداء السنة من المحرم؛ لأنه شهر حرام يلي شهر ذي الحجة الذي يؤدي المسلمون فيه حجهم، الذي به تمام أركان دينهم، والذي كان فيه بيعة الأنصار للنبي ﷺ مُسدّ العزائم على الهجرة، فكان ابتداء السنة الإسلامية الهجرية من محرم الحرام[10].

فها قد بان اعتناءُ المسلمين الأولين من المهاجرين و الأنصار في التحري عن ابتداء التاريخ، والتقويم الإسلامي العربي، وهذا يدل على أنه يجب على المسلمين أن يعتنوا بتاريخهم، وأن يعتنوا بتقويمهم، وأن لا يكونوا أذنابا لغيرهم يؤرخون بتاريخ غيرهم، فإن هذا بلا شك من الذل والخنوع، وإن من المؤسف حقًا أن يعدل أكثر المسلمين اليوم عن التقويم الإسلامي الهجري إلى تقويم النصارى الميلادي الذي لا يمت إلى دين الإسلام بصلة، فحافظوا على تراثكم وثقافتكم قبل أن تنهار؛ لأن معرفة التقويم الإسلامي فرض كفاية، وهو مقدم على السنة المؤكدة والواجب، ولا تنخدعَنّ من قيام بعض المسلمين على ثغوره، لأن الآتي بالمأمور به خير من المُعرِض عنه.

قِف أيها المُعلِي رايةَ الإسلام معي الوقفات التالية:

إن ذكّرك إدبار العام الماضي أن الدنيا آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صحبها، و أنت منتقل منها إلى دار لا زوال لها، فراجع نفسك، هل النفس الأمّارة مازالت تُربّتُ على كتفك بالتسويف، أم تشحذ همتك للتزوّد للسفر البعيد؟ يقول الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ [الحشر:٨١]. قال ابن كثير: (أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربّكم).

كن من الشاكرين، ويمكنك الاستعانة من الحوادث التي حدثت العام الماضي، سواءً عليكَ أو على أقاربكَ أو جيرانكَ أو إخوانكَ المسلمينَ، حوادِث فيها هَمٌّ وغَمٌّ، وسُرورٌ وحُزنٌ، وَوَباءٌ وأسقامٌ، وفِتَنٌ وحُروبٌ، أطفالٌ تيَتَّمُوا، ونساءٌ تَرَمَّلت فإذا سلَّمكَ اللهُ مِن ذلكَ فاحْمَدْهُ واشْكُرْهُ، وإنْ كُنتَ ابتُليتَ ببعضِ ذلكَ فانظرْ إلى مَن كانت مُصيبتُهم أعظم، فتعرفَ قدرَ نعمةِ اللهِ عليكَ.

العاقلُ عند دخول العامِ الجديدِ يُفكِّرُ ويُخطِّطُ ماذا سيفعلُ ويُنجزُ فيه من أعمالٍ صالحةٍ إنْ أطال الله بقاءه، وحُسنُ التخطيطِ هو من أهمِّ أسباب النجاح، قال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»[11].

فشمر عن ساعديك وشد مئزرك وقم بتخطيط أعمال تنجزها، وخاطب نفسك:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

والله لا يضيع أجر المحسنين.

(١٠) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي» (٢/ ٦٣).

(١١) «رواه مسلم» (رقم٢٦٦٤).

مأساة كربلاء.. بين الاتباع والابتداع

أ. محمد عمران، إسلام آباد

جاؤُوا بِرَأْسِكَ يا ابْنَ بِنْتِ مُحَمّدٍ مُتَرَمِّلاً بِدِمائِهِ تَرْمِيلا
ويُكَبِّرونَ بِأَنْ قُتِلْتَ وإنّما قَتَلوا بِكَ التّكْبيرَ والتّهْليلا

(ابن رغبان الحمصي)

ها نحن نطوي صفحةً من عام مضى، وننشر مع شهرِ محرَّم الحرام صفحةً جديدة من التّأمل والتذكر، في واحدٍ من الأحداث العظيمة التي اختارها الله لمواسم الفضل والعبادة، لتكون مناراتٍ للقلوب، وفُرَصًا للتوبة، ومواسمَ لإحياء الإيمان.

وقد دفعني ما جرى من أحداثٍ وآلامٍ، وما خَلَّفَتْهُ من آثارٍ في القلوب، إلى أن أُسطّر هذه الكلمات، لا لتكون مجرد سطورٍ تُتلى، بل لتكون قبساتِ عبرةٍ ونفحاتِ موعظةٍ توقظ القلوب الغافلة، وتذكّر العقول النائمة.

فاقرأها، أيها القارئ الكريم، بقلبك قبل لسانك، وبعقلك قبل عينيك.

اعلم أن الله جلّ في علاه لا يترك ظالمًا دون عقاب، ولا يدع مظلومًا بغير إنصاف، فهو أعلم وأعدل بحكم العباد.

ومن منا لا يعرف الحسين رضي الله عنه؟ ذلك الإمام العظيم، ابن عليٍّ المرتضى، وسبطُ النبيِّ المجتبى، وريحانتُه المحبوبة، وشبيهُه خَلقًا وخُلقًا، وسيّدُ شبابِ أهل الجنة، ولد فاطمة الزهراء، سيدةِ نساءِ العالمين. وهل في الناس أحد يخفى عليه مقامُ الحسين رضي الله عنه؟! فلقد نشأ على معاني النبل والصدق والشجاعة والعفاف، وعاش حياةً طاهرة نقية مترفّعةً عن الشهوات منصرفة عن الملذات، فكان عابدًا ناسكًا خاشعًا لله في السر والخلوات، يصوم نهاره و يُحيي ليله بالذكر والصلاة و المناجاة .

لقد وقف في كربلاء وحيدًا بعزم الصارمين، وواجه الباطل بثبات الصادقين، وما وهَنَ ولا استكان، بل قدّم نفسه وأهله وأصحابه فداءً للدين، وحُبًّا للحق، ليعلّم الأجيال أن الدم الطاهر إذا سُفك من أجل العقيدة، صار نورًا لا ينطفئ، وصوتا لا يسكت.

ولقد نعرف ونعترف أن الحسين رضي الله عنه عاش حميدًا مرضيّا، ومات شهيدًا مقبولًا، ولا يجهل أحدنا مأساة ميدان كربلاء، ولا يُنسى هول ذلك اليوم الذي تاهت فيه العقول وطارت لها القلوب، حيث صُرع وتناول كأس الشهادة بسيف الظلم والضيم، وقد كان خبر موته خبرًا تستاء له المسامع، وترتجّ له الأضالع، خبرًا يهزّ الرواسي، ويفلق الحجر القاسي.

فينبغي لكل مسلم أن يُحزنه هذا المصاب الجلل، وأن يستشعر شدة ذلك الموقف العظيم، وأن مصرعه مصيبة وفاجعة أليمة لا تعادلها مصيبة، وأن يهتف بأن من قتله أو أعان على قتله هم شرار الخلق وأشقياء الأمة.

لكن لا يُستحسن ما يفعله بعض الجهلة السفهاء من البدع الباطلة والفتن المنكرة التي أحدثها لهم الشيطان وأغراهم بها، كبدعة الصراخ والنياح، ولطم الخدود وخمش الوجوه وشقّ الجيوب، وإنشاء المراثي، وقراءة أخبار مصرعه التي كثيرٌ منها كذبٌ وافتراء، ويحتفلون ويقيمون المآتم كلما أقبل يوم عاشوراء.

إن ذلك ليس بواجب ولا مستحب، باتفاق المسلمين، وليس من المشروع ولا من المعقول، بل إن إحداث الجزع

والنياحة على المصائب القديمة من أعظم ما حرّم الله ورسوله.

إن هؤلاء الذين يتخذون مقتل الحسين رضي الله عنه مأتما سيقولون إن الحسين رضي الله عنه قتل بسيف الظلم والعدوان، وقتل وهو مظلوم مخذول، ونحن نقوم بذلك حبًا له وحزنًا عليه.

فقل له أيها القارئ: نعم، نحن نعلم ذلك، ولكن من أحبّ الحسين فليُظهر حبه في إقامة الدين، وكراهية الظالمين مهما كلّف الأمر، والثبات على الحق وإن خسر أَنْفَسَ وأَثْمَنَ ما لديه، وليتَحَلّ بأخلاقه من الكرم والشجاعة والورع والعفاف، وليستنّ بسنته وليهتدِ بهديه وليسِرْ على دربه.

وما كان الحسين رضي الله عنه أول من قتل مظلوما، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قُتل يوم الجمعة، وهو خارج لصلاة الفجر في شهر رمضان. وعثمان رضي الله عنه قتل و ذُبح من الوريد إلى الوريد، وكابد الظلم والعدوان، وعمر رضي الله عنه طُعن وهو في المحراب قائم يصلي و يقرأ القرآن.

فعظماؤنا ما بين مقتول وذبيح، ومجلود وجريح، فهل كانت في الغابر أو الحاضر جماعة اتخذت مقتل أحدهم مأتمًا أو موسمًا للبكاء والعويل؟!. ونحن المسلمين أولى بأن نجعل هذه الوقائع دروسًا في الصبر على البلاء، والرضا بالقدر والقضاء، لا مناسباتٍ للجزع والبكاء.

لقد استُشهد الحسين رضي الله عنه، و اصطفاه الله ليكون من السادة الشهداء، وما الاستشهاد إلا مرتبةٌ سامية من مراتب القرب، لا ينالها إلا من طهُر قلبُه وخلصت نيتُه. فليست شهادة الحسين خسارةً تُرثى، بل كرامةٌ تُذكر، وشرفٌ يُغبط عليه. فكيف يُنعى الحسين كما يُنعى الهالكون؟! وكيف يُقابل دمه الزكيُّ الذي سال نصرةً للحق، بالبكاء لا بالشكر، وبالعويل لا بالاقتداء؟!

فتبًّا لهؤلاء أصحاب البدع والضلال، الذين خالفوا نهج الله المتعال، وسحقًا لابن زياد، ومن شاركوه في سفك الدماء والقتال.

وعذرًا، ثم عذرًا يا ابن بنت رسول الله، حين خُذلت وما نُصرت، وقُطع رأسك وما رُحمت. وها أنا أنتظر ذلك اليوم الذي يُؤتى فيه بقاتليك مُكبّلين بالقيود، مُقبلين على العذاب الموعود.

وسلامٌ على الحسين، يومَ وُلِد، ويوم استُشهد، ويوم يُبعث حيًّا.

وسلامٌ على كل روحٍ أبيّةٍ لا تنحني للباطل، ولا تخضع للظلم، وسلامٌ على كل مؤمنٍ تذكّر بمصابه أن الدين ليس مجردَ كلماتٍ محفوظة، بل مواقف صادقة.

وأسأل الله أن يرزقنا حبّ الحسين رضي الله عنه، واتباعه، لا مجرّد التباكي عليه، وأن يُبعدنا عن سُبل الفتن، والبدع، والتفرّق، وأن يجعلنا من عباده المتّقين الصادقين العاملين، آمين.

ولا بُدّ يوما أن تُردَّ الوادائعُ

لبيد بن ربيعة (١)

بَلينا، وَما تَبلى النُجومُ الطَوالِعُ
وَتَبقى الجِبالُ بَعدَنا، وَالمَصانِعُ

وَما المَرءُ إِلّا كَالشِّهابِ وَضَوئِهِ
يَحورُ رَماداً بَعدَ إِذ هُوَ ساطِعُ

وَما المالُ وَالأَهلونَ إِلّا وَديعَةٌ
وَلا بُدَّ يَوماً أَن تُرَدَّ الوَدائِعُ

وَما الناسُ إِلّا عامِلانِ، فَعامِلٌ
يُتَبِّرُ ما يَبني، وَآخَرَ رافِعُ

فَمِنهُم سَعيدٌ آخِذٌ لِنَصيبِهِ
وَمِنهُم شَقِيٌّ بِالمَعيشَةِ قانِعُ

أَلَيسَ وَرائي إِن تَراخَت مَنِيَّتي
لُزومُ العَصا تُحنى عَلَيها الأَصابِعُ

أُخَبِّرُ أَخبارَ القُرونِ الَّتي مَضَت
أَدِبُّ كَأَنّي كُلَّما قُمتُ راكِعُ

أَتَجزَعُ مِمّا أَحدَثَ الدَهرُ بِالفَتى؟
وَأَيُّ كَريمٍ لَم تُصِبهُ القَوارِعُ!

لَعَمرُكَ، ما تَدري الضَوارِبُ بِالحَصى
وَلا زاجِراتُ الطَيرِ؛ «ما اللَهُ صانِعُ؟»

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري، أحد أشراف الشعراء والمعمّرين، يجيد الفخر والرثاء في لفظ جزل ومعنى بارع وحكمة وموعظة، وكان في الجاهلية شجاعا جوادا، شهد له النابغة – وهو غلام – بأنه أشعر هوازن حين سمعَ معلقته، ولما ظهر الإسلام أسلم وتنسك وحفظ القرآن كله . سكن الكوفة حتى مات ٤١هـ، قيل: إنه عاش ١٣٠ سنة.

أُسُس تطوير الذات

أ. عامر خالد

لا شك أن قضية تطوير الذات تخصنا جميعا؛ فكل إنسان يسعى للرقي والتطور في مختلف ميادين حياته، ويبحث عن سبل تعينه على تحسين مستواه، ويبذل في سبيل ذلك كل ما يملكه من طاقة وحيلة، فهي غريزة فطرية في الإنسان، غير أن السعي لا يثمر دائما في النتائج ذاتها، فهذا يتحقق له النجاح، وذاك تبوء محاولاته بالفشل، فثبت أنه ليس كل سعي يضمن تطورا مرجوا.

هذا، وينبغي أن نَعِي ونعلم أنه ليس كل تغير في نمط الحياة يعتبر تطورا محمودا وتقدما حقيقيا، فإن من التغيرات ما يكون نذيرَ تراجُعٍ وانحدارٍ، لا بُشْرَى نهوضٍ وازدهارٍ، وكم من تجدد في أسلوب الحياة لم يكن منه سوى التراجع نحو الأسوأ مما كان عليه سابقا، وكم من فارس نزل في معركة الحياة فلم يحصد إلا الفشل؛ لأنه لم يعدَّ له العدّة، وكم من إنسان طامح حلّق بأحلامه في الأفق فرجع دون أن يحقّقها، وليس ذلك إلا لأنه لم يحسن الاستعداد المطلوب له.

إن التطوير الذي يتكفل التطور الحقيقي يتطلب تفصيلا دقيقا وتحليلا واضحا لتلك الأسباب التي تؤدي إليه.

وانطلاقا من هذا، سأستعرض خَمْسًا من الطرق -على رغم كثرتها- التي هي من أهم ما يساعد في الوصول إلى «تطوير الذات» إن شاء الله.

(١) الرؤية المستقبلية

وهي تعني صورةً ذهنيةً واضحةً وملهمةً للمستقبل الذي تطمح أن تصل إليه.

وهي من أهم عناصر النجاح والتقدم في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء، وهي تسمح للإنسان بالتخطيط لمستقبله وتحديد الأهداف والعمل على تحقيقها.

ومن فوائدها: أنها توضح اتجاه العمل وتساعد على تنسيق الجهود وتحديد الأهداف، وتثير الشغف والحيوية في الحياة؛ لأنها تشعر المرءَ بأن لحياته غاية تدفعه إلى العمل على وعي، فالمهم، أنها أساس لكل تطور واقعي، ومن لا يملك رؤية مستقبلية يضيع في زحام الحاضر.

(٢) وضع الأهداف والعمل على تحقيقها

يعتبر من أهم العوامل لتطوير الذات، يقول الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكار، وهو يتحدث عن أهمية الهدف في مقاله: «أهمية رسم الأهداف» ما نصه:

«من الأدوات الأساسية في تحسين وضعية الفرد أن يكون له هدف يسعى إلى تحقيقه... ووجود هدف أو أهداف في حياتنا، هو الذي يجعلنا نعرف على وجه التقريب، ما العمل الذي سنعمله غدا، كما أنه يساعد على أن نتحسس - باستمرار - الظروفَ والأوضاعَ المحيطة؛ مما يجعلنا في حالة دائمة من اليقظة، وفي حالة من الاقتدار على التكيف المطلوب [1].

ولكي تتحقق الأهداف وضع لها شروط يجب توفرها، ومن أهمها:

- أن يكون الهدف محدداً واضحًا.
- أن يكون الهدف قابلاً للتنفيذ.
- أن يكون الهدف واقعيًا، بمعنى أن يكون له أثر على الواقع لا أنه خيالي وغير واقعي، أو هدف لا يتحقق بأي شكلٍ

(١) مقالات الدكتور الشيخ عبدالكريم بكار «أهمية رسم الأهداف» ص ٢٩١.

من الأشكال.

– أنْ يكون الهدف محدداً بوقت معين.

فالأهداف الناجحة هي التي تحمل خطة زمنية محددة، لها نقطة انطلاق ونقطة انتهاء. وكل هدف ليس له زمن محدد يكون عشوائيًا غير منضبط[٢].

(٣) علو الهمة

هو شعار الأنبياء وطبع النبلاء وصفة كل عظيم في التاريخ، فصاحبها لا يتوقف عند عقبة ولا يرضى بسفاسف الأمور، بل يسعى دائما وراء المعالي، قال عمر بن العزيز رحمه الله: «إن لي نفسا تواقة، ما وصلت إلى شيء إلا تاقت لما هو أعلى منه»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: «النفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها» [٤].

نماذج من علو الهمة:

هذا ابن حجر رحمه الله قرأ صحيح البخاري على شيخه في عشرة مجالس، وقرأ صحيح مسلم في خمسة أيام، وسننَ ابن ماجة في أربعة مجالس، وقرأ سنن النسائي الكبرى في عشرة مجالس، كل مجلس منها مقدارهُ أربع ساعات[٥] ، وما كان له ذلك لولم يكن يتمتع بعلو الهمة.

نستمع إلى الشيخ صالح آل شيخ حفظه الله يحكي لنا قصة توصية أستاذه محمود شاكررحمه الله له بقراءة «لسان العرب» لا بن منظور، حيث سأله عن كتاب لغوي مفيد، فأجابه الشيخ محمود شاكر بـ «لسان العرب» يقول الشيخ صالح: فقلت: لسان العرب عشرين مجلدا كيف أقرؤه؟؟ فقال: إذن، ابحث لك عن وظيفة أو عمل تشغل به نفسك، أنت لا تصلح للعلم!! ثم قال الشيخ محمود: إيش عشرين مجلدًا! قرأناه على شيخنا مرتين، ولم نكمل الثالثة![٦] .

فبهذه الهمة العالية أصبح محمود شاكر محمودا

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

(٢) ولمزيد من التفاصيل راجع الكتاب «رسم الأهداف»ص ٦ لصاحبه أبي ذر عبد القادر بن عبد الرزاق، والكتاب غير مطبوع ولكنه متوفر في المكتبة الشاملة.

(٣) البداية والنهاية: ١٢/ ٦٥٧.

(٤) الفوائد١/ ٨٥٢.

(٥) قواعد التحديث، ص ٢٦٢.

(٦) الطريق إلى النبوغ العلمي ص٦٩٢.

وكذلك الشيخ محمد عوامة يتحدث عن الهمة العالية لشيخه العلامة المحدث المحقق عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله.

يقول حفظه الله: «إن سيدي الشيخ دخل حياته العلمية بهمة عالية، ونهمة نادرة مع ذهن متقد وذكاء ألمعي وحافظة جيدة جدا، مع عمل بالعلم وصحبة للعلماء العاملين وتقوى وصلاح وصفاء، فالتقت الأسباب المادية والمعنوية التي تكوّن العالِم المثاليّ، لقد سمعت من فضيلته مرة وهو يتحدث عن إعجابه بأجلِّ شيوخه الأستاذ الكوثري – رحمه الله تعالى– قال لي: من باب إعجابه بشيخه لا من باب التمدح بنفسه، والله يعلم مني بأنني لم أسمع منه حرفا واحدا مدح فيه نفسه».

يقول عن شيخه الكوثري، قال: «كل من حضرت عليه من الأساتذة كنت أرى أني أستطيع أن أكون مثله حتى رأيت الأستاذ الكوثري فقلت في نفسي: «أما هذا فلا».

والقصد من هذه الكلمة وهذا الحديث في النفس أنه كان حفظه الله دخل العلم بهمة عالية جدا يريد مسابقة شيوخه، ولـمّا رأى الإمام الكوثري الذي لا يشقّ له غبار قال في نفسه: «أما هذا فلا».

هذه الهمة المتوثبة هي التي مكنت الشيخ من أن يصل إلى ما وصل إليه.

(كنت أقرأ له النحو في شرح الآجرومية فكان يطالع درسه في مغني اللبيب [٧].)

(٤) احترام الوقت

نعم ما قيل عن الوقت: «الوقت سيف ذو حدين، إن لم تقطعه قطعك»، فهو أساس كل عمل، فمن أراد أن يستثمر حياته فليستثمر وقته، ومن كان مُهْمِلا في حق الوقت فليس له ملجأ من الفشل والضياع.

يقول الشيخ عبد القادر محمدي في كتابه «رسم الأهداف»: «ومن أهم عناصر النهوض هو احترام الزمن، ومن يتأمل في ديننا الحنيف يَجِد غالب أعمال الشريعة ترتبط بالزمن، فالصلوات مرتبطة بأوقات، والصيام والزكاة، والحج له أوقات معتبرة، إن تهاونتَ أو تأخرتَ عن الوقت المحدد خرج وقتها وأوجب عليك القضاء، والقضاء ليس كالأداء في الأجر والحكم.

ومن تأمل قليلا يَجِد عناية الشرع بالزمن عناية فائقة؛

(٧) نقلت القصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ولم أقف على مصدرها المطبوع بعد.

فهو لا يتعامل بالساعات بل بالدقائق والثواني، فمن صلى قبل الوقت بدقيقة واحدة لم تقبل منه، ومن تعمَّد الإفطارَ قبلَ وقتِه بدقيقةٍ واحدة وجب عليه القضاء! أي نظام يريد منا ربنا عزوجلَّ»[٨] انتهى.

لذا نجد كثيرا من الشخصيات نهضت واحتلت مراكز متقدمة في سنوات قليلة، نتيجة المحافظة على الأوقات، بينما يرى بعض منا أنفسهم خارجَ صف المتطورين، وفي الحواشي جالسين، لا يكادون يفقهون قولا على الرغم من تَوَفُّر جميع الأسباب والوسائل، كأنهم بحاجة إلى أن يربطهم أحد بحبل احترام الوقت.

(٥) التركيز على الهدف.

من العوامل التي تمهد الطريق نحو التطور الذاتي «التركيز على الهدف»، فالتركيز يوجه الطاقات في اتجاه واحد، بمعنى أنه يجمع الهم ويمنعه من التشتت، ويرفع نسبة الإنجاز والإنتاج؛ فبقدر التركيز على الهدف يتحقق الإنجاز.

فمن ركّز على هدفه بذل له كل ما يملكه من أفكار وجهود وأوقات، فتدور كل هذه في فلك هدفه، وأما من تشتت جهوده، وتدخل في كل فكرةٍ وَجُهْدٍ وعمل، تضيع جهوده وتستهلك أوقاته دون أن تثمر شيئا، أو ربما تثمر ولكن متأخرا عن الموعد.

كل ذلك وسواه من الأسباب العديدة نحو العزيمة الثابتة ومهارة التغلب على المشاكل والتخطيط الجيد قبل القيام بالعمل ونحوها تساعد صاحبها في تناول درجات سلم الرقي، إن وضعها نصب عينيها وطبقها في حياته العملية بكل جد وجدارة.

أسأل الله عزوجل أن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى به، آمين.

(٨) رسم الأهداف، ص: ٠٢، الكتاب منشور في المكتبة الشاملة ولم يطبع بعد

أ. سعيد أيوب

سلسلة : قبس من سيرة النبي الكريم ﷺ (2)

حسن عشرة النبي ﷺ مع الفقراء

"إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه"

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: «**إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه**»، يعني: إننا نستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته من أنواع المتاع، ونحن حاضرو المدينة نعد له ما يحتاج إليه مما لا يجده هو في البادية.

كان يقول عليه الصلاة والسلام عن هذا الرجل: «إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه»، وكان النبي ﷺ يحبه وكان دميماً - يعني: قبيح الوجه رضي الله تعالى عنه - فأتاه النبي ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو - أي: لا يبالي- ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ وهو يحتضنه يقول: «من يشتري العبد؟ من يشتري العبد؟» فقال: يا رسول الله! إذاً والله تجدني كاسداً - يعني: تجد سعري قليلاً؛ لأنني ذميم الخلقة - فقال النبي ﷺ: «لكنك عند الله لست بكاسد»، أو قال: «لكن عند الله أنت غال»

رواه أحمد في مسنده (رقم ١٢٦٤٨)، والترمذي في الشمائل (رقم ٢٤٠)، والبغوي في معجم الصحابة (رقم ٩٠٢)، وقال الذهبي في تاريخه (٧٧٧/١): صحيح غريب. وقال الحافظ في الإصابة (٤٥٢/٢): حديث صحيح.

الحلقة (٢)

تربية الأولاد

أ. محمد سعد

التربية الاجتماعية:

تشتمل التربية الاجتماعية على تعليم الطفل كيفية التعامل مع الناس، واحترام الكبير، والاهتمام بمشاعر الآخرين، والالتزام بآداب الحديث، وغير ذلك من السلوكيات الاجتماعية الراقية. ومن واجب الوالدين أيضًا تعليم الأبناء حدود العلاقات بين الجنسين، وتعريفهم بمحارمهم، والأشخاص الذين لا يجوز لهم الاختلاط بهم أو النظرُ إليهم أو مصافحتهم.

وفي الحديث النبوي الشريف: «فرِّقوا بينَهُم في المضاجِع»[١]، أي أنه عندما يبلغ الأطفال سن العاشرة، يجب أن يتم التَفريق بينهم في أماكن النوم، وهذا جزء من التربية الاجتماعية السليمة، التي تحمي الأطفال من الانحرافات وتغرس فيهم الحياء والاحتشام منذ الصغر.

التربية العقلية الدينية:

يمكن أيضًا تسميتها بالتربية التعليمية، وهي من مسؤوليات الوالدين، حيث يجب عليهم تعليم أبنائهم القرآن والسنة والفقه وغير ذلك من العلوم الشرعية.

وقد نُقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبِّ نبيكم، وحبِّ آل بيته، وتلاوة القرآن»[٢].

١ - غرس محبة النبي ﷺ:

يجب أن يُعلَّم الطفل حب النبي ﷺ من خلال معرفة صفاته الظاهرة والخَلْقية، وصفاته الباطنة والمعنوية، ينبغي للوالدين أن يحكوا لأبنائهم قصصًا من سيرته العطرة، ليتأثروا بها ويتعلقوا بشخصيته ﷺ.

ومن الأمثلة البارزة على محبة الصحابة الصغار للنبي ﷺ، ما وقع في غزوة بدر، عندما شارك الأخوان معاذ ومعوّذ، ابنا عفراء - رضي الله عنها-.

كان الصحابي عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه في الصف الأول أثناء المعركة، وبينما هو واقف، إذا بطفلين يقفان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، قال في نفسه: «ما لي وللقتال اليوم، وأنا بين طفلين صغيرين؟» ولكنه فوجئ بأن سأله أحد الطفلين قائلًا:

يا عم، أين أبو جهل؟

وما كاد يُكمل سؤاله حتى سأله الآخر نفس السؤال: «يا عم، دلّني على أبي جهل».

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «تعجبت من سؤالهما، فقلت في نفسي: ماذا سيفعلان بأبي جهل؟» وشاء الله أن بدا أبو جهل ممتطيًا فرسه ينظم صفوف المشركين، فدلَّهما عليه.

ما إن أشار إليهما، حتى انطلقا كالصقرين، وانقضّا عليه، قام أحدهما بضرب فرسه فأسقطه، والآخر وجّه له الضربة القاتلة، فتمكّنا من قتل فرعون هذه الأمة أبي جهل.

هذه الشجاعة الفائقة، وهذا الحب العميق للنبي ﷺ، لم يكن وليد اللحظة، بل كان ثمرة التربية القوية التي غرستها والدتهما، السيدة عفراء - رضي الله عنها -، في قلوبهما منذ

(١) «سنن أبي داود» (رقم٢٩٥).

(٢) «رواه الديلمي عن علي رضي الله عنه مرفوعا كما في زهر الفردوس» (رقم٦٩).

الصغر.

نصائح النبي ﷺ للأطفال:

لقد وردت مواقف عديدة كان فيها النبي ﷺ يُقدّم النصح للأطفال بأسلوبٍ بسيطٍ وفعّال.

١ - تعليم آداب الطعام:

ذات مرة، جلس طفلٌ صغيرٌ مع النبي ﷺ لتناول الطعام، فأخذ يمدّ يده في كل ناحية، فأمسك النبي ﷺ بيده وقال له: «يا غلام، سمِّ الله، وكُل بيمينك، وكُل مما يليك»(٣).

أي: اذكر اسم الله قبل الأكل، وكُل بيدك اليمنى، وكُل مما يليك، فهذه آدابٌ مهمة يجب أن نُعلّمها لأطفالنا.

٢ - نصيحته لابن عباس رضي الله عنهما:

كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما صغيرًا، فركب خلف النبي ﷺ على دابَّته، فاغتنم النبي ﷺ الفرصة ونصحه بهذه الكلمات:

«يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»(٤).

إنها كلماتٌ عظيمة، يسهل على الطفل فهمها، وتُعَلِّمه التوكل على الله، وحفظ أوامره، واليقينَ بأن الأمور كلها بيد الله وحده.

صفات المُربي الناجح:

يجب أن يتحلّى المربي سواء كان والدًا أو معلمًا بخمس صفاتٍ رئيسية:

١ -الإخلاص: أن يكون عمله خالصًا لله، دون رياءٍ أو سمعة.

٢ -التقوى: أن يحرص على تطبيق تعاليم الدين في حياته.

٣ -العلم: أن يمتلك المعرفة الكافية لتعليم الأطفال بشكل صحيح.

٤ -الحِلْم والرفق: أن يكون صبورًا ومتفهّمًا لطبيعة الأطفال.

٥ -الشعور بالمسؤولية: أن يُدرك عِظَم الأمانة المُلقاة على عاتقه في تربية الأجيال.

نسأل الله أن يوفقنا جميعًا لتربية أبنائنا على نهج الإسلام، وأن يجعلهم قُرةَ أعينٍ لنا في الدنيا والآخرة.

(٣) «صحيح البخاري» (رقم٥٣١٦)، «صحيح مسلم» (رقم٢٠٢٢).

(٤) «سنن الترمذي» (رقم٢٥١٦).

فنّ الكلام

«إن الإنسان -كما يقولون- حيوان ناطق، وليس النطق أن يخرج الحروف ويصفّ الكلام، بل أن يعرف كيف يتكلم؟ وربّ كلمة تُدخل الجنة وكلمة تدخل النار، وكلمة أنجت من القتل، وكلمة دفعت صاحبها إلى القتل، وربّ صاحب حاجة عند وزير أو كبير عرف كيف يطلبها فَقُضِيَت له، وآخر طلبها فلم يصل إليها...

وهذا فن لا يُتعلَّم تعلمًا، ولكن يوصَل إليه بالقلب الذكي، وبأن تعرف خُلُق مَن تكلمه والطريق إلى نفسه. وكل نفس لها باب وإليها طريق؛ لم يخلق الله نفسًا مغلقة لا باب لها، فهذا يُدخَل إليه من باب التعظيم، وهذا من باب العاطفة، وهذا من باب المنطق، وهذا من باب التهديد والتخويف، وهذا يزعجه التطويل ويحب الاختصار، وهذا يُؤْثر الشرح والبيان ... ولا بد لك قبل أن تكلم أحداً أن تعرف من أي باب من هذه الأبواب تدخل عليه...

وليست العبرة بألفاظ الكلام فقط، بل باللهجة التي يُلقى بها هذا الكلام. والتحية إن ألقيت بلهجة جافة كانت شتيمة، والشتيمة إن ألقيت بلهجة حب كانت تحية... وقد يكون للكلمة أحيانًا عكس معناها الذي يدل عليه لفظها، يُفهَم ذلك من قرائن القول وظروف الكلام... ولهجة الكلام وملامح الوجه تقلب المعنى قلبًا... وإن من أمارات الحكم على شخصية إنسان لهجة كلامه، فمَن كان يتكلم بصوت هادئ ولهجة متّزنة وحروف واضحة كانت له شخصية المهذَّب النبيل، ومن كان مرتفع الصوت حادّ اللهجة، يتشدّق في كلامه أو يَمطّ الحروف لم تكن له هذه الشخصية».

صور وخواطر، لعلي الطنطاوي (٣٧١-٣٧٩)

للعلامة أبي الحسن علي الندوي

اعرف قدرك؛ لِيعرفَك العالم

تعريب: أ. أسامة إقبال

هذا المقال جزء من سلسلة مقالات مترجمة من محاضرة قيمة للشيخ الندوي رحمه الله، ألقيت في شهر مارس سنة ١٩٥٤م في ندوة علمية لطلبة دار العلوم ديوبند، يتضمن هذا المقال الثاني دعوةً صادقةً إلى معرفة أهل العلم قدر أنفسهم، وصرخةُ نذيرٍ لإيقاظ الهمم من سُباتها، وحملِ الأمانة التي حمّلها الله وارثي علوم الأنبياء.

انهيار البنية المعنوية في المدارس:

لا تحملوا كلامي محملَ السوء – فإنما أنا منكم – فقد تتجرَّد المدارس عن مثل هذه الأزهار وتتدهور عواطفها تدهورا مَشِيْنًا، وقد أفضى هذا التجرد والتدهور إلى ما يسمونه باضمحلال واندثار، فالخريجون عددهم كبير، بيد أن الغراس المنشود لا يُرى له صغيرُ أثر في المحيط الإنساني، وصدق القائل:

اٹھا میں مدرسہ وخانقاہ سے نمناک　　نہ زندگی، نہ محبت، نہ معرفت، نہ نگاہ

معنى البيت: «خرجت من المدرسة باكيًا؛ لأني لم أجد فيها حياة، ولا حبا، ولا معرفة، ولا بصيرة».

بعض الشخصيات التي غيرت مسار الزمن:

لقد طرق أبواب هذا الوطن ذات يوم فقير متقشف كأمثال الشيخ معين الدين الأجميري والسيد علي الهمداني الكشميري رحمهما الله فألهب الوطن بأسره بمشاعره ونور إيمانه، وأحدث مجدد الألف الثاني رحمه الله ثورة عظيمة في عهد السلطة المغلية، ومن حصاد كفاحه أن الملك المتشرع أورنكزيب عالمكيري رحمه الله قد استعلى عرش الملك «أكبر»، والمحدّث الكبير الشاه ولي الله رحمه الله فتح أعين الوطن على آفاق لم يكن يراها، وأحدث تأثيرا عميقا في بِنْيَة الفكر ونظام التعليم، والشيخ قاسم النانوتوي رحمه الله بنى كيانا عظيما للإسلام حين اضمحلال العالم الإسلامي وقنوطه، فأحيا العلوم الشرعية من جديد، وفي الآونة الأخيرة أحيا الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس رحمه الله جهد الدين والإيمان، ونفخ في الأمة روح الحياة.

جہانے را دگر گوں کرد　　یک مرد خود آگا ہے

ومعنى البيت: «أن الشخص الذي يمتلك إدراكا عميقا لذاته، يستطيع إحداث تغيير عظيم في العالَم». وأما اليوم فقد تجرّدت المدارس من هذه المشاعر، وافتقدت القوة التي كانت تخضع لها العقول، فإن الدهر مدرك للحقائق، ولا يخضع إلا للشموخ، والظريف لا يذعن إلا لمن حقق لنفسه الرفعة، والقلوب الميتة لا تنقاد إلا للقلوب الغنيّة المترعة. وقد تزايدت في مدارسنا أذهان مستذلة، وقلوب هامدة من الآمرين والناهين. ولكن عزت الرجولة وباتت تعدّ على الأصابع.

آنکھوں میں سرور عشق نہیں　　چہرہ پہ یقین کا نور نہیں

معنى البيت: «لا أثر لنشوة الحب الصادق في العيون، ولا نور اليقين باديًا على الوجوه».

لقد كانت المدارس منابعَ القوة والحياة، ومنابت صانعي الثورة والتغيير، ولكن انتابها اليأس، والشعور بالدونية فنرى تزايدا كبيرا في عدد المدارس، والطلاب، والكتب، والوظائف، والمكتبات ومحتوياتها، إلا أن وهج الحياة أخذ يختنق في صمت وحزن، فإذا ما أتى اليوم مَن يملك إحساسا بكرامته وشعورا بوجوده في ساحات المدارس تقلصت أسارير وجهه، وانطفأت أنفاسه، وتلهف بنظرات حائرة إلى هذا البحر الواسع الميت قائلا:

خُدا تجھے کسی طوفان سے آشنا کرے　　کہ تیرے بحر کی موجوں میں اضطراب نہیں
تجھے کتاب سے ممکن نہیں فراغ　　کہ تو کتاب خواں ہے مگر صاحب کتاب نہیں

معنى البيت: «ليتك تواجه طوفانا يهزك؛ لأنك ساكن

لا تموّج فيك، ولا ينبغي أن تغترّ بالقراءة، فأنت تقرأ الكتب لكنك لا تحمل روحها ولا تعمل بها».

لكن القلب اليوم يرتجف قلقا حين تُذكر كلمة «الطوفان» في سياق المدارس؛ لأن أمواج الطوفان التي تصطدم بحيطان المدارس ما هي إلا صدى جلبة الخارج وحركته، وطلابنا وسط هذه الجلبة لا يتجاوزون دور الناقل كالمكبِّر يُعيدُ الصوت دون إدراكٍ لمضمونه.

منارة الهداية أضحتْ تقتبس من غيرها:

وممّا يؤسف عليه ويخدش القلب به هو أن الأنشطة الدعوية، والضجيج، والاضطراب، والهيئات، وطرائق الاحتجاج التي أصبحت اليوم مرفوضة بالمدارس العصرية ويرونها كحطام ماض لا يُغري بالعودة لقيت ترحيبا واسعا بمدارسنا، بل يظن البعض أنّ الوصول إليها كالوصول إلى المناصب السامية، فمن كانت وظيفته إمامة العالَم، واحتساب الزمن، وكان حريًّا بأن يتصدَّر لواء الدعوة، ويرفعَ راية الريادة؛ أصبح يقلد معاهد ليس لها من الدين نصيب.

کر سکتے تھے جو اپنے زمانہ کی امامت　　وہ کہنہ دماغ اپنے زمانے کے ہیں پیرو

معنى البيت: «الذين كان بإمكانهم قيادة عصرهم أصبحوا الآن يتبعون تقاليد الزمن».

فأكبر فتنة تصارعها المدارس اليوم هو «الشعورُ بالدُّونية» وبات كالأَرَضةِ يُفتِّت المدارس من الداخل، وكل مؤسسة تسلَّلت إليها هذه الداهيةُ خبتْ فيها الحياة.

لِمَ الشعور بالدونية؟

أحبتي لماذا يدهمكم هذا الشعور؟ أما غيركم فشعوره بالدونية لمعاناة نفسية، وأما شعوركم بها فليس وراء ذلك علة سوى الابتعاد عن التدين، وضعف الاعتقاد، واضمحلال الإيمان. وتتبعها كوارث لا يطاق تصورها، فإذا دهت هذه الكارثة ورثة الأنبياء فذلك يومئ إلى أنهم لم يدركوا كُنْهَ النبوة ولم يستخلصوا اليقين، والحق أنهم يقلدون أعلاما، قال فيهم العارف الرومي رحمه الله :

نخوتے دراند وکبری چوشہاں　　چاکری خواہند از اہل جہاں

معنى البيت: «يدَّعون لأنفسهم التباهي والتكبر، ويتظاهرون بالسيادة، وهم في الحقيقة عبيدٌ لأطماعهم».

معرفة الذات:

لقد حزتم كنوزا افتقدتها البشرية، فإن صدوركم نابضة بعلوم النبوة والحقائق التي غابت عن العالَم، وأفضى هذا الغياب إلى اضطراب هائل وفسادٍ فادح، فلا تكترثوا لثيابكم البالية، وأجسادكم الضامرة، وجيوبكم الخالية، ولكن انظروا إلى الثروة المحفورة بصدوركم، والبدر الكامل المستور في قلوبكم. واعلموا أن الاحتقار والذُّل يتعلقان بالباطن قبل تعلقهما بالخارج (المادة)، فالاحتقار اسمٌ لشعور بداخل الإنسان نتيجة ريبه، وضعف اعتقاده، وتردده، وعدم معرفته بالذات، والإنسان يحقر نفسه ويستاء من الناس ظنّا منه أنهم يحقرونه، ويتوهَّم أن لا قيمة له في ميزان الحياة، وأن جهده لا يثمر في المحيط الإنساني، على الرغم من أنه هو الذي جلب على نفسه هذا البؤس والشقاء، ألا، وإنّ من هَان على نفسه هَان على الناس، ومن نقص قدرُه عنده لا يعيره غيره مكانا في عينه وقلبه، ومن لا تَسَعُهُ نفسه لا يسعه العالم، فإن هذه الأرض تنداح وتنكمش بانديا القلب وانكماشه، فمن ظنّ أن لا قيمة له في مسرح الحياة قلوب البشر، فعليه أن لا يتوقع أي تكريم من البشر.

ونفسَك أكرمها فإنك إن تَهُنْ　　عليك فلن تلقى من الناس مُكْرِمَا

أعتقد أننا لسنا بأهل حقارة، ولكن داء الحقارة تسلَّل إلينا فأنكرنا أنفسنا، وإن هذا الإحساس بالدونية قائمٌ على جهلنا بأنفسنا، ولا يتسنى لنا علاجه إلا بمعرفتنا شرفنا حق المعرفة، وتصفّح ثروتنا تصفّحا حقيقيا، فإن تغيير العالم وتغيير الأنظار تبع لأنظارنا، فإذا ما تغيَّرت أنظارنا تغيَّر العالم، وينكشف هذا الظّل المهيب من الاحتقار عن قلوبنا.

اور اگر باخبر اپنی شرافت سے ہو　　تیری سپہ انس وجن تو ہے امیر جنود

معنى البيت: «إن عرفتَ قدرَ نفسك وشرفك فإن جندك الإنس والجن وأنت قائدُهم وسيدُهم».

هذا، وقد تبين من تاريخنا الماضي والمعاصر أن الأشخاص الذين عَرَفوا أنفسَهم وَعَظِمَ منزلتهمْ هانت الدنيا عليهم ورَغِمَتْ أنوف السلاطين حين أبدوا رغباتهم في شرائهم فوجدوا فيهم عزّة تأبى أن تُثَمَّن، وإذا أقبلت الدنيا عليهم بتعاطيها خرجوا في وجهها ضاحكين متردِّدين قول قائل:

برو این دام بر مرغ دگر نہ　　کہ عنقا را بلند است آشیانہ

معنى البيت: «اذهب وانصب شَرَكَكَ لطائر غيري، فإنّ العنقاء عشها في الأعالي، فمثلي لا يقع في شِراك الطمع، ولا تليق به الدنايا».

لقد كانت الإنسانية موصومة بنسيان الذات وبيعها بثمن بخس فأنقذ كرامتها أناسٌ عَرَفوا أنفسَهم وربّهم فاستطاعوا أن يُتَوِّجوا رأس الإنسانية إذْ توَّجوا أنفسهم أولًا.

لقاء مع
رائد العلم وجليس العلماء

أ. محمد شعيب

سلسلة بديعة في مقاييس اللغة تكشف للقارئ الترابطَ بين الكلمات المنبثقة من جِذْر واحد، وأسرارَها اللفظية والمعنوية بأسلوب حواري جذّاب

أيها القارئ الكريم! قد سُعِدنا في الجلسة السابقة بلقاء «القلم» واطلعنا على المعنى الأصلي لمادة «ق، ل، م» و ماينبثق منها من الكلمات والمعاني، وضيفنا اليوم «رائد العلم وجليس العلماء» الذي قام بتربية أجيال وتثقيف أقوام، فلنرحب به في رحابنا مُثَنّيْن لحضوره.

مجلة الحبر: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته! مرحبا بك، لقد ضاقت الكلمات عن تعبير شعورنا المفعم بالسرور والاعتزاز تجاه حضورك إلى ساحة مجلة الحبر ، وكيف لا؟! وقد اختارك الله لتبديد ظلام الجهل وتنوير العقول.

الضيف: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وشعوري أيضا ممتزج بالامتنان والافتخار في حينٍ أخاطب فيه جمهور العلم والعرفان عبر منصة «الحبر».

مجلة الحبر: لو تلاقت بتسليط الأضواء على سيرتك الذاتية ليطلع قراءنا على شخصيتك النبيلة وأسرارها المكنونة في الأصداف.

الضيف: لقد شرّفني الله لأن أكون حامل رسالته بين دفتيّ، وقد قمت بدور الجسر الذي يصل العقل الإنساني بالعلوم السماوية والمعارف الكسبية، وكفاني شرفا أن صدري مطرّز بالرسالة الربانية الأخيرة لهداية كافة البشرية.

مجلة الحبر: كيف وقعت تسمية الكتاب لشخصك الكريم؟

الكتاب: المعنى الأصلي لمادة «ك،ت،ب» جمع شيء إلى شيء، ولما أني أجمع الأبواب العلمية وفصولها المتفرعة في صفحات تضبطها الدفتان، فهذا الجمع العلمي والمعرفي حقّق لي اسم «الكتاب».

مجلة الحبر: وما هي العلاقة بين الفعل «كتب» ومعناه الأصلي «جمع»؟

الكتاب: عندما نكتب شيئا، ففي الحقيقة نضمّ حرفا إلى حرف لتكوين الكلمة، وكلمةً إلى كلمة لتكوين الجملة وجملةً إلى جملة لتكوين الفقرة، فهذا الضم والجمع هو المعنى الأصلي للفعل «كتب».

مجلة الحبر: وتطلق العرب «الكتاب» على الدواة والصحيفة والفرض والحكم والقدر، كيف يكون توجيه هذه الإطلاقات؟

الكتاب: الدواة محبرة، يملأها الكُتّاب بالحبر ليكتبوا منها وقت الكتابة، ولكونها من لوازم الكتابة سمّيت بـ«الكتاب» مجازا. والصحيفة مجموعة ألواح أو صفحات من جلد أو جريد أو ورق يُكتب عليها، فلكونها مكتوبا عليها سمّيت بـ«الكتاب».

وأما الفرض والحكم والقَدْر فهذه الكلمات معناها المأمور الواجب، ولأن الأوامر يبعث بها مكتوبة فسمّيت بـ«الكتاب».

مجلة الحبر: تقول العرب «الكَتيبَةُ» للجَيْش، أو الجَماعَة المُسْتَحيزَة مِنَ الخَيْلِ، كيف يمكن انخراطه في سلك المعنى الأصلي؟

الكتاب: «الكتيبة» جمعها كتائب، هي جيش صغير أو مجموعة من الفرسان المقاتلين، فلفظة «الكتيبة» المشتقة من مادة «ك،ت،ب» اختيرت لأداء معنى الجمع والاجتماع. وبالمناسبة يجدر أن أذكر أن الفعل «تكتّب» أيضا يدل على المعنى الأصلي فيقال تكتّب الناس إذا اجتمعوا.

مجلة الحبر: وهناك معان أخرى لـ «كتب» مثل كتب الكتاب إذا عقد النكاح، وكتب السِّقاء أو القِرْبَة إذا شد فمها بالوكاء، كيف يمكن ربط هذه المعاني بالمعنى الأصلي؟

الكتاب: أما تعبير «كتب» لمعنى عقْد النكاح فيمكن

له توجيهان، الأول: أنه عقدٌ والعقود توثق بكتابة أركانها وشرائطها. والثاني: أن النكاح انضمام الشريكين إلى الحياة الزوجية الجديدة، وهذا الانضمام هو المعنى الأصلي لـ«كتب». وأما كتْب السقاء أو القربة هو جمْع فمها بالوكاء لئلا يتسرب ما بداخلها.

مجلة الحبر: بالمناسبة لو سمحت وضّح لقراءنا معنى «الكُتْبة» وصلتها بالمعنى الأصلي.

الكتاب: الكُتْبَةُ هو سير من قطن أو حزام من جلد يشدّ به فم القربة أو حياء[1] الناقة لئلا ينزُوَ عليها الفحل.

مجلة الحبر: يبدو لي أن مادة «ك،ت،ب» غلب استخدامها في المصطلحات والأدوات العلمية، فهل ما أراه صحيح ؟

الكتاب: أجل! إنك صائب فيما بدا لك، فإن الجانب العلميّ غلب على مادة «ك،ت،ب» حتى أصبح المعنى الأصلي مستورا في هذا التزاحم. مثلا: يقال للعالم: الكاتب، ويقال: أَكْتب الصبيانَ وكتّبهم إذا علّمهم الكتابة، وأكتَب الأحاديث إذا أملاها، والكُتّاب والمَكْتب: موضع تعليم الصبيان، ويُطلق الكتاب على الدواة كما ذُكر آنفا، وغير ذلك من الإطلاقات تدل على غلبة معنى العلم على المعنى الأصلي.

مجلة الحبر: إنني حائر في أمر لا أهتدي في توجيهه وكشْفِ سِرِّهِ، فهل لك أن تحل لي هذه العقدة؟

الكتاب: كيف لا، وحل العُقَد وظيفتي ومقصد حياتي، سأكون سعيدا إن تمكنت من إزالة حيرتك، تفضل، فأنا طوع أمرك.

مجلة الحبر: العالم كله شاهد على الصداقة بينك وبين القلم، وفي اللقاء الماضي مع «القلم» عرفنا أن المعنى الأصلي له القطع والانفصال، وفي لقاء اليوم عرفنا أن المعنى الأصلي لـ«الكتاب» الجمع والانضمام، كيف تمكنتما من العلاقة الوطيدة مع التضاد البائن في المعنى الأصلي؟

الكتاب: هههه! حقا إنك دقيق جدا في الملاحظة، إن مصاحبتي للقلم مع التضاد في المعنى الأصلي فعلا أمر محيّر في بادئ النظر، لكن لو أمعنت النظر في النظام التكويني السائر من الذرات حتى المجرات، لوجدته محكما مع كون أجزائه متناقضة، ألم تر أن اليوم مجموع النقيضين من الليل والنهار، والكرة الأرضية مجموعة النقيضين من البرّ والبحر، والبر مجموع النقيضين من السهل والحزن، وما إلى ذلك من النظائر التي يتعذر إحصاؤها، فهي تقوم بوظائفها من غير أن يؤثر فيها التناقض، فمصاحبتي للقلم في أداء الأمانة العلمية مع التضاد في المعنى الأصلي لا يكون ضائرا، لعلك توصلت إلى ما كنت أريده؟

مجلة الحبر: أجل، توصلت، وأقدم لك الشكر الجزيل من قبل لجنة «مجلة الحبر» وقرائها على هذه الإفادات النافعة، ودمت في أمان الله.

(١) الحَياءُ من ذوات الخُفِّ والظِّلْفِ: فَرجُها

فضل العلم والتعلم

والتحذير من الإخلال فيه

عن عبد الرحمن بن أبزى، أو: عن أبيه أبزى قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم، فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا، ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم، ولا يعلّمونهم، ولا يأمرونهم، ولا ينهونهم! وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقهون، ولا يتفطّنون! والله ليعلّمن قوم جيرانَهم، ويفقهونهم، ويفطّنونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفقهون، ويتفطنون، أو لأعاجلنهم العقوبة في دار الدنيا» ثم نزل ودخل بيته.

فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ فقالوا: نُراه عنى الأشعريين، هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! ذكرتَ قوما بخير، وذكرتنا بشرّ! فما بالنا؟ فقال: «ليعلّمن قوم جيرانَهم، وليفقهنهم، وليفطننهم، وليأمرنهم، ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفقهون، ويتفطنون، أو لأعاجلنهم بالعقوبة في دار الدنيا»

فقالوا: يا رسول الله، أنفطّن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم، وأعادوا قولهم: أنفطّن غيرنا؟ فقال ذلك أيضا، قالوا: فأمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليفقهوهم، ويعلموهم، ويفطّنوهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]

(رواه الطبراني في الكبير، ومن طريقه أبو نعيم في المعرفة، ورواه ابن السكن، وقال: إسناده صالح، كما في كنز العمال(رقم٨٤٥٧).)

من صاحبك الوفي؟

أ. أبو الهيثم فرقان أحمد

صاحبك الوفي هو عملك الصالح المرضيّ عند الله الذي رُفِعَ إلى الله، وكُتب له القبول، وثبت في صحيفة أعمالك من الذكرِ والتلاوة وصلة الرحم وخدمة الأبوين وصحبةِ العلماء الربانيين، وتقديم العون والنصر للملهوف والمحزون وذي الحاجات، وإعطاءِ الرأي السديد لِمَن ائتمنك واستشارَكَ ثِقَةً فيك، والصبر على أنواع الكوارثِ والهموم والغموم، والصبر على سوء الأخلاق من قبل القريب والبعيد أومن الصديق والعدو أومن المحب والكاره والصالح والطالح.

وصاحبك الوفي هو تضرعك بين يدي الله لقضاء الحوائج وطلب المقاصد أو لدفع المصائب ورفع البلايا في دُلَجِ الليل بِالوَلَهِ والبُكاء أو في مختلف أوقات النهار بالابتهالَ والتضرع إليه، وما إلى ذلك من عبادات وصالحات عَمِلتَها خالصةً لوجه الله عزوجل ولابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، هي صاحبك الوفي الذي لا يَغدرِك بالخُذلان عند الاحتياج والاضطرار؛ إنما يصاحبك بالنفع والإفادة في الدنيا بالخير والبركات والرحمات وفي الآخرة بالرضا والغفران.

يقول حاتم الطائي: «نظرت إلى الخلق فإذا كل شخص له محبوب، فإذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه، فجعلت محبوبي حسناتي لتكون في القبر معي»[١].

إن مصاحبة الأصدقاء الأتقياء والخُلَّانِ الأبرياء الأصفياء والأخدان الخُلَّص أهل العلم والفضل مِنحة إلهية، ورحمة وبركة وطمأنينة، هم سَرج للعباد ومنار للبلاد، إنهم في الأرض كمثل نجوم السماء، وصداقة أمثالهم تشتمل على الإفادة والاستفادة وعلى النصر والاستنصار وعلى النصح والاستنصاح، نشكر الله عليهم؛ لأنهم من عظيم نعم الله تعالى.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢]:

كَلَامُ الْحَكِيمِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... كَوَبْلِ السَّمَاءِ غِيَاثُ الْأُمَمْ

فَنُطْقُ الْحَكِيمِ جِلَاءُ الظَّلَامِ ... وَصَمْتُ الْحَكِيمِ دُعَاءُ الْحِكَمْ

حَيَاةُ الْحَكِيمِ جِلَاءُ الْقُلُوبِ ... كَضَوْءِ النَّهَارِ يُجَلِّي الظُّلَمْ

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ليستغفر للعالم من في السماوات، ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر»[٣].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما أدى إليه، والعالم، والمتعلم في الخير شريكان، وسائر الناس همج لا خير فيهم[٤].

وسئل عبد الله بن المبارك: مَنِ الناس؟ فقال: «العلماء»[٥].

قال الفقيه أبو الليث: «من جلس مع العلماء ازداد من العلم والورع»[٦].

قال عليه الصلاة والسلام: «اغدُ عالما، أو متعلما، أو مستمعا، أو محبا، ولا تكن الخامسة فتهلك»[٧].

ولا شك إن التعايش مع العوامّ – وقيل العوام كالأنعام – والعشرة معهم شاقة، فقد أشار عليه العلامة النحرير سفيان الثوري رحمه الله حيث قال: «إني لأفرح إذا جاء الليل ليس إلا لأستريح من رؤية الناس بعده»، وقال أيضا: «عليك بالخمول فإن هذا زمن خمول، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذاك والنجاة في تركهم فيما نرى»[٨].

وقد يصبح الإنسان أحبولة في أيديهم ولعبة عندهم.

وقد قيل: معاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق، ولزوم

(١) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، فصل في آفات العلم، ص: ٢٤

(٢) رواه الآجرّي في أخلاق العلماء، ص: ٣٣

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، باب ثواب معلم الناس الخير، الرقم: ٢٣٩

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك، الرقم: ٥٤٣

(٥) أسنده الدينوري في المجالسة وجواهر، الرقم: ٣٠٠

(٦) التفسير الكبير للرازي، ٢/ ٤٠٣

(٧) رواه الطبراني في الأوسط، الرقم: ٥١٧١، وقال البيهقي في المدخل ٣٨٢: ضعيف مرفوعا

(٨) حلية الأولياء، ٦/ ٣٧٦

الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان[٩].

إن الله عزوجل قد جعل حياة النبي ﷺ قدوة حسنة لنا حيث قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[الأحزاب: ١٢] وهو معلم عظيم لأمته جمعاء، والصحابة رضي الله عنهم تلامذة النبي ﷺ، تعلموا منه كل خير، ومن تبعهم بإحسان من الأسلاف الصالحين من التابعين والمحدثين والفقهاء، فلو ندرس حياتهم ونفكر فيها نجدهم زاهدين في الدنيا مقبلين على الآخرة راغبين فيها، ولا يألون في الخير جهدا، وهم كلهم - رجالا ونساء - أصحاب الأعمال الصالحة، وإليك نبذة من حياتهم:

نرى نبينا محمدا ﷺ يقوم في جوف الليل بحضرة الله تعالى بالتضرع والتبتل إليه رغم أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعن المغيرة بن شعبة، قال: «قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبدا شكورا» [١٠].

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت عند حجرة النبي ﷺ، فكنت أسمعه إذا قام من الليل يقول: «سبحان الله رب العالمين»، الهَوِيَّ، ثم يقول: «سبحان الله وبحمده»، الهوي. قال الحسين: الهوي: الطويل[١١].

وروي عنه ﷺ أنه كان متواصلَ الأحزان، دائمَ الفكرة، ليست له راحة، طويلُ السكوت، لايتكلم في غير حاجة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وأما الحزن فليس المراد به الحزن الذي هو الألم على فوت مطلوب أو حصول مكروه فإن ذلك منهي عنه، ولم يكن من حاله ﷺ، وإنما أراد به الاهتمام والتيقظ لما يستقبله من الأمور» [١٢].

قال النبي ﷺ: «يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم، لبكيتم كثيرا، ولضحكتم قليلا»[١٣].

حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال: «دخلت على أسماء وهي تصلي فسمعتها وهي، تقرأ هذه الآية ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فاستعاذت فقمت وهي تستعيذ، فلما طال علي أتيت السوق، ثم رجعت وهي في بكائها تستعيذ» [١٤].

قال أبو بكر الأوسي: «كان مالك قد أدام النظر في المصحف قبل موته بسنين وكان كثير القراءة طويل البكاء»[١٥].

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ نبتة من الأرض فقال: «يا ليتني هذه النبتة! ليتني لم أك شيئا! ليت أمي لم تلدني! ليتني كنت نسيا منسيا!»[١٦].

وقال عمران بن حصين: «وددت أني رماد على أكمة تسفيني الرياح في يوم عاصف»[١٧].

عن أبي إسحاق الخميسي قال: «دخلت على يزيد الرقاشي وقت الظهيرة في بيته وهو يتمرغ على الرمل مثل الجرادة وهو يقول: ويحك يا يزيد من يصوم عنك؟ من يصلي عنك؟ من يترضى لك ربك من بعدك؟ ثم التفت إلي، فقال : يا معشر الناس، ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟! من الموت موعده والقبر بيته والثرى فراشه والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر، ثم لا يعرف منقلبه إلى الجنة أو إلى النار، ثم يبكي حتى تسقط أشفار عينيه»[١٨].

عن سفيان بن عيينة قال: «كان محمد بن المنكدر إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع»[١٩].

فنقتبس من حياتهم أن اللبيب الحذر لا يغفل عن موته ولا عن آخرته، وهذا الذي ذكرتُه من حياة السلف الصالح ضحضاحة من غَمر، وقطرة من سيل.

فعلينا أن نحرص على صحبة هذا الرفيق الوفي؛ لأنه يكون أنيسا في القبر ونورًا في ظلمات يوم القيمة، والدنيا دار الفناء وليس لها البقاء، ولا من فيها من الإنس والجن والأشياء والأدوات من حطام الدنيا لها بقاء، ليس البقاء لأدنى شيء مما ذُكر، الدار دار الفناء وكل ما فيها فانٍ، قال الله تعالى:﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٦٩]، وقال أيضا: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وما يعمله الإنسان فيها من خير مخلصا لله ولابتغاء وجهه سبحانه وتعالى فثوابه وأجره هو الباقي الدائم، مُدَّخَرٌ عند الله.

فاعمل - رعاك الله - صالحا، ولا تنخدع ولا تغترَّ بما فيها من زينة الحياة الدنيا، سوف يزول كله وتخالها حلما عما قريب، بل ليتعلق قلبك دوما لعمران الدار الآخرة حيثما كنت، كنت مع الأهل أو الأخلاء والأحباء أو كنت بين

(٩) روضة العقلاء لابن حبان، ص: ٢٠٠
(١٠) صحيح البخاري، الرقم: ٤٨٣٦
(١١) الزهد والرقائق لابن المبارك،١/ ٣٥
(١٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٢١
(١٣) مسند الإمام أحمد،٤٢/ ١٩١
(١٤) حلية الأولياء،٢/ ٥٥
(١٥) ترتيب المدارك وتقريب المسالك،٢/ ٥٣
(١٦) تاريخ دمشق،٤٤/ ٣١٣
(١٧) المصنف لعبد الرزاق، الرقم: ٢١٦٩١
(١٨) تاريخ دمشق،٦٥/ ٨٩
(١٩) تاريخ دمشق،٥٦/ ٥٠

الأقارب، عُدَّ نفسك في الموتى واهتمّ ببناء الدار الآخرة، وذلك بشتى أنواع الأعمال الصالحة كما هي وصية نبينا محمد عليه ألف ألف صلاة وسلام مادامت السموات والأرض.

عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور» فقال لي ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا[٢٠].

قدم معاذ ابن جبل رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ واستنصحه قائلا: يا رسول الله: أوصني، فأوصاه النبي ﷺ بوصية هي وصية لي ولكل أفراد الأمة، فقال: «اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، واذكر الله عز وجل عند كل حجر وعند كل شجر، وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية» [٢١].

لن ينسى أحدنا انتقاله إلى الآخرة ورمسه تحت التراب، والحياة الحقيقية تبدأ مسيرها بعد الموت وعليها مدار الفوز والخسران، قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ٥٨١]. وقال أيضا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ١٧]. وقال أيضا: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٣].

فهيا بنا لكي نشمّر عن ساعد الهمة ونضع نُصب أعيننا الدار الآخرة والفوز فيها والنجاح هنالك، ونعيش للموت ونحرص الإخلاص في جميع ما نزاوله من عبادات وصالحات، فالله المسؤول أن يغدق علينا شآبيب الرحمة ويلهمنا التوفيق لما يحب و يرضى من قول وعمل والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٢٠) سنن الترمذي،٤/ ١٤٥

(٢١) المعجم الكبير للطبراني،٢٠/ ١٧٥

مسافر قريش.. والشيخ المعمّر

ذكر أبو حاتم السجستاني أنه خرج رجل من قريش قبل مخرج النبي ﷺ، فركب البحر، فانكسرت سفينته، فوقع في جزيرة في أرض لا يرى بها أنيسا، يقول: فبينا هو يطوف في تلك الجزيرة إذا هو بشيخ كبير مجتمع العلم، فقال: من أنت؟ قلت: رجل من العرب. قال: من أي العرب؟ قال: رجل من قريش.

قال: بأبي وأمي قريش، وأين مساكنها اليوم؟ قلت: بمكة.

قال: فهل خرج محمد بعد؟ قلت: وما خروج محمد؟ قال: فقصّ عليّ كيف يكون خروجه، وأخبرني أنه نبي، وأنه سيخرج، فإذا خرج فأتّبعه وقص أمره، ثم قال لي: أعالم أنت بمكة؟ قلت: نعم.

قال: فهل تعرف مكانا يقال له "المطابخ" ؟ قلت: نعم.

قال: أفتدري لم سُمِّيَ المطابخ؟ قلت: لا.

فقال: إن جيشين منا تواعدوا للقتال، فنزل أحدهما شرقي الجبل، ونزل الآخر غربيه، فنحرنا فيه الجُزُر من جانبيه جميعا، فسميَ بنا المطابخ.

ثم قال: هل تعرف مكانا بمكة يقال له "القُعَيْقِعَان" ؟ قلت: نعم.

قال: فهل تدري لم سمّي قيقعان؟ قلت: لا. قال: فإنا لما خرجنا من المطابخ للقتال، فاجتمعنا بذلك الجبل، فاقتتلنا فيه، وقعقعوا السلاح، سميناه "قعيقعان".

ثم قال: هل تعرف فيها بقعة يقال لها "فاضِحُ" قلت: أجل، نعم.

قال: فهل تدري لم سمي فاضحا؟ قلت: لا.

قال: فإننا تناجزنا، فاقتتلنا قتالا فضح بعضنا بعضا، فسميناه فاضحا.

ثم قال: هل تعرف فيها موضعا يقال له "أَجياد"؟ قال: قلت، نعم.

قال: فهل تدري لم سُمّي أجيادا؟ قلت: لا.

قال: فإنا لما أتيناه على جريدة خيل، فاقتلعت فيه الخيل، ليست فيها رجّالة، سمي أَجيادا لجِياد الخيل.

ثم انصرف عني إلى الروضة.

فقلت: يا عبد الله، سألتني فأخبرتك، فأخبرني، من أنت؟ فألتفت إلي، فقال مجيبا:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا ... أنيس، ولم يسمُر بمكَّة سامرِ
بلى، نحن كنَّا أهلَها، فأزالنا ... صروف اللَّيالي والجدود العواثُرِ

فظننا أنه الحارث بن مضاض الجرهمي، مدّ له عمره إلى ذلك اليوم؛ وبعضهم يقول: شيخ من "جرهم".

المعمرون والوصايا، لأبي حاتم السجستاني(ص ٧)

إكسير السعادة

أ. أبو الفاتح حمزة نذير

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد

لا شك أن تقوى الله أعظم منشود يسعى لحصوله كل مؤمن ومؤمنة بعد التحلي بالإيمان؛ إذ هو سر الفوز في الحياة الفانية والآخرة الباقية، وإكسير السعادة، ووسام العز، وتاج الشرف، وإكليل النجاة، وجماع الخيرات، ولقاح كل رشد، وأحرز حرزٍ، وأقوى معين، وأمنع جُنَّة، وأوثق عُرى، وأفضل عدّة على العدوّ، وخير نفل، وأرجى ذخر ليوم الدين، وبه تحصل معية الله، ويتم الظفر بحب الله ورسوله.

وإن من أعظم الأماني لكل بشر يعيش على هذه البسيطة أن يقضي حياة مطمئنة مريحة، لا يتعرض فيها للفتن والعوائق التي تحول دون أهدافه المنشودة، وأغراضه المطلوبة في جميع مجالات الحياة، ويكون جهده المبذول لأغراض دينية ضرورية ودنيوية مباحة تحت ضوابط شرعية وآداب مرعية مكللةً بالنجاح والفلاح، ويظفر بحب الله ورسوله، ويتولاه الله بجزيل فضله، فيجعله من خاصة أوليائه وعرفائه، وعند الرحيل من دار الفناء إلى دار البقاء يُعامَل بلطف الله وإحسانه، ويرى ما يسره مع البشرى بالنِّعَم المعَدَّة للمتقين، ونهائيا يحظى بالنعيم الدائم بالدخول في الجنة.

يريد المرء أن يأتي مناه ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

نعم! إنها أمنية كل إنسان يسعى للحصول عليه، ويشق الطريق للوصول إليها، وإن كل الديانات الراهنة الزائغة المنحرفة تدعو أبناءها إلى هذا المقصد الأسنى، وتخترع لنيله بزعمها الفاسد ورأيها الكاسد دون الاستهداء بهدي الإسلام، والاستضاءة بضوء القرآن بشتى الأساليب والطرق.. من الإباحية المذمومة، وتخطيط المناهج الممقوتة، واتباع الهوى، وعبادة المادة، والسعي وراء حطام الدنيا، مع الانسلاخ من ثوب الإنسانية، واتخاذ الهمجية الغاشمة شعاراً، والبهيمية الظالمة دثاراً، والتخبط في سيل الشهوات والنزعات خبط عشواء، حتى يتوارى الأدب، ويتبرقع الحياء، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤].

أعرني سمعك أيها القارئ: الإسلام أكبر داع، يدعو الإنسانية جمعاء من غير تمييز بين الأسود والأحمر إلى حصول الراحة والطمأنينة مع ملاحظة الآداب المرعية والضوابط الشرعية، دون الخروج عن نطاق الشرع الإلهي، وإن دائرة الإسلام ليست ضيقة متحجرة تالدة، بل هي واسعة سمحة تواكب العيش في كل عصر ومصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد خطط رب العالمين منهجًا صافيًا نزيهـًا لا يشوبه تجرد الرهبان في الصوامع والكنائس، ولا زيغ المتحررين عن مبادئ الإنسانية فضلا عن مبادئ الدين ؛ ليستمتع عباده بحظوظ الدنيا المسخرة دون أن تخطئهم النِّعَم الموعودة في دار الخلد، وبث تخطيطه الرباني في كلامه المعجز بشتى الأساليب التي تسترعي الانتباه، وتستدعي الوقوف، فلنقف مع هذا التخطيط الإلهي وقفة المتأدبين الخشعين، مستعرضين من النصوص الإلهية شروط الفوز والسعادة في الدارين.

أيها القارئ الفاضل: بعد تسريح النظرة العاجلة والجولة

السريعة في الآي الإلهية، يبُتُّ ذو العقل الرشيد والرأي السديد أن الركيزة الهامَّة والقطب الأساسي الذي يدور حوله رحى السعادة والفوز، هي **تقوى الله**.

فحب الله لعبده مرتبط بالتقوى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦]، والنعيم الدائم المقيم لا يتمُّ الظفر به إلا بتقوى الله ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥]، والمغفرة موعودة، والجنة معدَّة لأرباب التقى ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وهم المأمونون من الخوف والحزن كما قطع به القرآن ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، والاستحقاق لبركات السماء والأرض للمتقين كما يصدع به الكلام الإلهي ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، والمعية الإلهية ترافق – قطعا ويقينا – المتقي المحسن بالصراحة القرآنية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

وإضافة إلى ذلك أن التقوى تفيد في تكفير السيئات، والمغفرة، والفضل العظيم، وولاء الله، وقبول الأعمال الصالحة، والخروج من معضلات الأمور، والرزق من حيث لا يُحتسب، وحسن الختام، كلها فوائد موعودة، ونتائج مرتبة على التحلي بتقوى الله في الخلوات والجلوات، والظاهر والباطن، وتطبيق الشريعة البيضاء على الأعضاء والجوارح، كما ينص عليه القرآن المعجز في العديد من الآي مرارًا كثيرةً.

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

نعم، والتقوى منبع الصحة الروحانية والبدنية كما قطع به أرباب الشأن في علم النفس، فبالتقوى يتيسر للإنسان إزاحة الوساوس المشوشة والخيالات الفاسدة المرتسمة على لوحة القلب والدماغ، وذلك يزيد الذاكرة قوةً، والقلب صفاءً، والجسم صحةً وإحكامًا، ويمنح الإنسان استجماماً في الهوايات العلمية والدينية المقصودة والدنيوية المباحة، ولا يتأتى ذلك إلا بالتقوى.

ألا إن تقوى الله أكبر نسبة ... تسامى بها عند الفخار كريمُ

ومن المؤسف المخزي أن المسلم اليوم أصبح يستغرب مفهوم التقوى ومقتضياته، وانغمس في مجالات لا تعود عليه بفائدة ولا جدوى، وضرب عن هذه الفضائل الصفح، وطوى دونها الكشح؛ رغبةً في حطام الدنيا وتحصيلا للذائذ المؤقتة، مع الزهد في ثروة التقوى الجالبة للخيرات والبركات كما سبقت إليه الإلماحة الموجزة.

يطوي بك العمر إلى غاية ... حسبك تقوى الله من زادها
أترضى بأن تلقى الميهمن في غد ... وأنت لا علم لديك ولا تقوى

ومما زاد الطين بلةً والمريض علةً تعكيرُ الجو والبيئآت؛ لإشاعة الفواحش والمنكرات في فتيان المسلمين وفتياتهم، عبر البرامج التعليمية المخططة بالأيادي الغربية الخرقاء، القاضيةِ على القِيَم والأخلاق والمُثُل والمبادئ، المخدشة للفضائل، والموقعة في الرذائل، المنتجة على بَلبلةٍ فكريةٍ في الدين، و زعزعةٍ في العقيدة الإسلامية.

وضغثًا على إبَّالةٍ، تفرُّجُ أهل الحل والعقد على فضائح أبنائهم التي تصطكُّ منها المسامع ويندى لها الجبين حياءً، دون تقعيد وتقنينٍ، أو تفكير وتدبير برسم الحدود، ووضع السدود ضدَّ سيل المنكرات، وإغاثة الشعب بالانتزاع من مستنقعات الأهواء والشهوات إلى البيئات الطاهرة من الأرجاس والأنجاس.

من يتق الله يحمد في عواقبه ... ويكفه شرَّ من عزُّوا ومن هانوا

ومن أعظم الواجبات الموجهة نحو ولاة المسلمين والدعاة إلى الله في الوقت الراهن الاستشعار بهذا الجانب المهجور، فلا نجاة لسفينة المسلمين من أمواج الأهواء الغربية الهائجة إلا بتقوى الله والإيمان الجمِّ، فإنه الحل الوحيد لجميع الأزمات المالية والسياسية والعلمية التي تمر بها الأمة المسلمة قاطبةً، والدعوة المجردة عن الأعمال لا تسمن ولا تغني من جوع – وإن رغمت أنوفنا– دون العودة إلى الربانية المهجورة المنشودة بنص الوحي الإلهي ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

عليك بتقوى الله في كل مشهد ... فلله ما أذكى نسيما وما أبقى

الحياة بين الصبر والشكر

أ. سرخيل

أَلَمْ تَرَ أنَّ الصبرَ للشكرِ توأَمٌ ... وأنهما ذُخْرانِ للعُسْرِ واليُسْرِ
فشُكراً إذا أُوتيتَ فاضلَ نِعْمَةٍ ... وصبراً إذا نابَتْكَ نائبةُ الدهرِ
(الطغرائي)

إنّ حياتنا في هذه الدنيا لا تخلو من تقلّب الأحوال، والله سبحانه وتعالى خلقها ليختبرنا بها كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧] فحينًا يبتلينا بالعطاء والفضل والجود والإحسان، ليرى أنشكر أم لا؟ وحينًا يختبرنا بنزع ما أعطانا، ليمتحن: هل نصبر أم لا؟ وقد يبتلينا بالفرح والسرور، وتارة بالحزن والألم، وأخرى بالثروة والغنى كما يبتلي بالفقر والحاجة، وبالشبع والرِّي وكما يختبر بالجوع والعطش، وبضيق الصدر حتى يتململ، وكما يمتحن بانشراح الصدر، وما من حي على وجه الأرض إلا و هو مبتلى في حال من الأحوال.

وتختلف أحوال الناس تجاه هذه الظروف، فمنهم من ينجح في الابتلاء فيفوز، ومنهم من يخفق فيقع في الفشل، فالحياة بين أمرين: صبر عند البلاء، وشكر عند العطاء.

وأما الشكر، فليس مجرد قولٍ باللسان، بل هو شعورٌ ينبع من القلب، يظهر أثره على الجوارح، وتنمو جذور الشكر في القلب حين يرضى العبد بقضاء الله، ويطمئن إلى حكمته، وينظر إلى الحياة نظرة إيجابية مهما كانت الظروف قاسيةً؛ لذلك نجد أن بعض الفقراء سعداء، وبعض الأغنياء تعساء، وربما عاش مريضٌ في طمأنينةٍ وسكينةٍ لا يشعر بها كثير من الأصحّاء.

فالراحة الحقيقية ليست في وفرة المال، ولا في صحة الأبدان، وإنما الراحة في طمأنينة القلب، ورضا النفس، وقرب العبد من ربه.

و أكثر ما يمنع العبد من شكرِ نِعَم الله عز و جل .. هو شعوره بعدم استحقاقه لكل ما أعطي، فالشعور بعدم الاستحقاق إنما هو دليل على التواضع وصدق العبودية، وهو من أعظم أسباب تقوية الشكر.

و ما أعجب هذا القول بأن الشكر في ذاته أعظم نعم الله عز وجل، وكلّما ازداد العبد إدراكًا لعجزه وتقصيره، ثم وجد نفسه في كثير من النعم رغم تقصيره، حمده أعمق حمدٍ، وشكره أصدق شكرٍ، وخضع له أعظم خضوعٍ، وهكذا كان حال الأنبياء والصالحين، كما قال النبي ﷺ عندما سُئل: "يا رسول الله، أتصلي حتى تتفطّر قدماك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟" قال: "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟" أو كما قال الرسول ﷺ.

أما الصبر، فهو خُلقٌ عظيم و صفة جليلة لا غنى للعبد عنها، لأنها حِصن للقلب عند الشدائد، وسرّ الثبات في المحن. ويجعل الإنسان كالصخرة لا تثقله مهما حملت من أثقال وأعباء. وما أقل هذه الصفة فينا مع شدة الاحتياج إليها. ومن لا يصبر، تتخطفه الهموم، ويشعر بالوحدة والضعف، ويضيق صدره عند كل بلاء.

أما الصابر، فقد وعده الله بالمعيّة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]؛ ومن وجد معيّة الله، فلا وحشة توحشه، ولا كرب يثقله، لأن الله يكون له ناصرًا ومعينًا ومؤنسًا.

وهكذا يعيش المؤمن بين جناحَي الصبر والشكر، فإن أصابته النعمة حمد الله وشكره، وإن أصابته الشدة صبر واحتسب، وهو في كلا الحالين رابح، وقد قال رسول الله ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير: إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له».

من عرف ربه في كل حال، وصبر على قضائه، وشكر على عطائه، فقد فاز بمعية الله في الدنيا، وبرضاه في الآخرة، هيَّا، فلنكن من أولئك الذين إذا أُعطوا شكروا، وإذا مُنعوا صبروا، وإذا ابتلوا رضوا، فهؤلاء هم السعداء في الدارين.

نظرة وعبرة ..
في أطـــوَل آية

أ. محمد فرقان

مِن الجمال في ترتيب القرآن ونسقه أن أطول آية في كتاب الله عز وجل، هي: آية الدَّين في سورة البقرة، لم تقتصر على ذكر أحكام الدين والمعاملات فحسب؛ بل جمعت بين الفقه العميق والتوجيه الإيماني، فجاءت جامعة لأصول العدل، ومقاصد الشريعة، وأسس العلاقات المالية بين الناس، ومبينة لما يحتاج إليه أهل الإيمان في باب الدَّين بتفصيل دقيق.

لقد تناولت هذه الآية الكريمة أحكاما عديدة، ومن أبرز هذه الأحكام:

- جواز الدَّين في الشريعة.
- مشروعية كتابة الدَّين توثيقًا للحقوق.
- استحباب الإملاء من المدين، تأكيدًا على المسؤولية.
- مشروعية الإشهاد، وذكر عدد الشهود وصفاتهم.
- مشروعية الرهن عند تعذر الكاتب.
- التحذير الشديد من كتمان الشهادة.

هذه... وغيرها من الأحكام جلية كانت أو خفية، ليس الغرض من تعرضي لها سرد الأحكام وبيان تفاصيلها؛ فإن لها علماء تكفلوا بشرحها وبيانها - فجزاهم الله عن الأمة المحمدية بأسرها خير الجزاء-، إنما أود أن ألفت أبصار القراء الكرام إلى أمر آخر، وهو أن الله لا يذكر في القرآن الكريم مجرد الأحكام، ولا يقتصر على الأمر والنهي، بل يسرد في ثنايا الأحكام المحفزات والدوافع التي تهيئ الإنسان لقبول الأحكام وتلقّيها على وجه البصيرة، ويربط القلوب بالمعاني الإيمانية التي تحفّز النفس على الامتثال، وتغرس فيها حب الطاعة، والعمل بها عن قناعة ويقين.

تأمل مثلًا؛ كيف بدأت الآية بنداء كريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، فخاطب الله عباده بالإيمان تشريفًا لهم، وتمهيدًا لقبول ما يأتي من التوجيهات.

ثم استُعرضت الأحكام بالتفصيل، وفي ثناياها وُضعت إشارات إيمانية تربوية عميقة، منها قوله: ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وهو أمر بالتقوى جاء بين الإملاء وكتمان الشهادة، ليبين أن التقوى هي الضمان الأول للعدالة والنزاهه، أما الذي لا يستحضر عظمة الله وكبرياءه ولا يهاب من بطشه.. كيف يتسنى له صيانة نفسه من الكذب والخيانة؟ فهو يجور ويظلم ويبخس ولا يؤدي ما ثبت عليه الحقوق للبرية في عاتقه، ولعله سيمر على آيات الله بقلب لاهٍ، وفكر مشغول، ولا يشعر بعظم أوامر الله في كتابه وأحاديث رسول الله ﷺ التي تبين شناعة هذه الأفعال وقبحها.

فمن الضروري للإنسان أن يتذكر من هو أقوى وأعلى منه..؟ حتى يتدنى عند مطالبة الأوامر ويتذلل ليؤدي حق الله وحق الناس على أحسن وتيرة.

وفي مثل هؤلاء الناس كان التدبير الإلهي أن يُذَكَّر المرءُ ويوعظ، حتى لا يكون من الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يعقلون.

ولذا نرى في آية الدَّين عند ختامها.. يعود النداء الرباني بصيغة أمر صريح من غير استناد إلى تعريض وكناية ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ ليدل على أن العلم النافع ثمرة للتقوى، وأن التقوى هي المفتاح لفهم أحكام الله والعمل بها.

ومنه يُعلم أن التقوى هي عماد الأمور كلّها، وبها تستقيم المعاملات، وتتحقق العدالة، ويصون الإنسان نفسه من الظلم، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل.

وفيه درس لكل من سلك سبيل العلم أن يتحلى بالتقوى مع تدربه على العلوم الآلية والعالية، وأن يضع هذه الكلمات الأربعة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ نصب عينيه حتى يتذكر أن العلم الإلهي لا يتحقق للإنسان إلا إذا تحلى بصفة الخشية والخوف من الله الجليل.

التقوى والعلم صفتان متلازمتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى في طريق الهداية والنجاح؛ فالعلم يهدي إلى التقوى والتقوى سبب لنيل العلم النافع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى

ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] دلالة على أن العلم الحقيقي يورث التقوى والخشية، فالعلم بالله هو الأشد له خشية. وجاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت». رواه الترمذي.

وقال بعض السلف: «يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه أو ارتحل».

ويقول ابن القيم رحمه الله: «التقوى هي أساس السعادة والنجاح في الدنيا والآخرة». مدارج السالكين.

ويقول الإمام الغزالي: «التقوى أن تكون دائم الخوف من الله، ملازمًا لطاعته، مجتنبًا لمعصيته»[1]

من أراد الخير لنفسه في دينه ومعاشه ومعاده، فليجعل التقوى زاده، ولينظر في أوامر الله بعين البصيرة، لا بعين العادة أو التقليد.

(١)إحياء علوم الدين (٣/ ٦٥)

عبقرية النظم القرآني

يقول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وهو يقرر أن الكلمة لا تفضل على أخرى لمعنى في ذاتها، وإنما يحصل ذلك لاتساقها في النظم وحسن ملاءمة معناها لمعنى جارتها:

وهل تشكُّ إذا فكَّرْت في قولِهِ تعالى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، فتَجلَّى لك منها الإعجازُ، وبَهَرك الذي تَرى وتَسْمَعُ أَنك لم تَجد ما وَجَدْتَ من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يَرجعُ إلى ارتباطِ هذه الكَلِم بعضِها ببعضٍ، وأن لم يَعرِضْ لها الحُسْنُ والشرفُ إلاَّ مِنْ حيثُ لاقَتْ الأُولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقريَها إلى آخِرها وأنَّ الفضلَ تَناتَجَ ما بينها، وحصَل من مجموعها؟

إن شكَكْتَ، فتأملْ: هل ترى لفظة منها بحيثُ لو أُخِذَتْ من بين أَخواتها وأُفردتْ، لأَدَّت منَ الفصاحة ما تُؤدِّيه وهي في مكانها منَ الآية؟ قُل: «إبلَعي»، واعتبرْها وحْدَها من غيرِ أن تَنْظُرَ إلى ما قَبْلَها وما بعدَها، وكذلك فاعتبرْ سائرَ ما يليها.

وكيفَ بالشكِّ في ذلك، ومعلومٌ أنَّ مبْدَأ العظمةِ في أن نُوديت الأرضُ، ثم أُمِرَتْ، ثم في أن كان النداء «بيا» دُوْنَ «أيّ»، نحوُ «يا أيتها الأرضُ»، ثم إضافةِ «الماءِ» إلى «الكافِ»، دونَ أن يقالَ: «ابلعي ماءك»، ثم أنْ أُتبعَ نداءُ الأرض وأمرُها بما هو من شأنها، نداءَ السماء وأمرَها كذلك، بما يَخصُّها، ثم أنْ قيل: و﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾، فجاء الفعلُ على صيغة «فُعِل» الدالَّةِ على أنَّه لم يَغِضْ إلاَّ بأمر آمرٍ وقُدرةِ قادرٍ، ثم تأكيدُ ذلك وتقريرُه بقولهِ تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، ثم ذكرُ ما هو فائدةُ هذه الأمور، وهو: ﴿اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾، ثم إضمارُ «السفينةِ» قَبْل الذكْر، كما هو شرطُ الفخامةِ والدلالةِ على عِظَم الشأن، ثم مقابلة «قيل» في الخاتمة «بقيل» في الفاتحة؟ أَفَتَرى لِشيءٍ من هذه الخصائصِ التي تملوك بالإعجازِ روعةً، وتحضُرُكَ عندَ تصورِها هيبةٌ تُحيطُ بالنفس من أقطارِها تعلُّقًا باللفظ من حيثُ هو صوتٌ مسموعٌ وحروفٌ تَتوالى في النُّطق؟ أم كلُّ ذلك لما بينَ معاني الألفاظِ مِنَ الاتِّساقِ العجيب؟

فقد اتَّضحَ إذن اتِّضاحًا لا يَدَعُ لِلشكِ مجالًا، أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبهَ ذلك، مما لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ.

(دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ت شاكر ٤٥/١)

أهميةُ دعوة غير المسلمين إلى الإسلام

أ. أبو سليمان نصيب الرحمن

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمةً للعالمين، بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام تمثّل أحد أعظم أركان العمل الدعوي، وهي في حقيقة الأمر امتداد لمهمة الأنبياء والرسل، الذين بُعثوا ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومع أن الدعوة داخل المجتمعات الإسلامية من تذكير وتعليم وإصلاح تُمارَس بفضل الله بشكل منظم ومتنوع؛ إلا أن الجانب المتعلق بدعوة غير المسلمين لا يزال في كثير من الأمصار ضعيفًا أو شبهَ معدوم، وهذا ما يدعو إلى التأمل والاهتمام البالغ.

لقد أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، وهذه الدعوة لا تُقيَّد بجنسٍ ولا لون، ولا بعِرقٍ ولا نسب، بل تشمل كل من لم تبلغه رسالة الإسلام، فكيف يليق بالمسلمين أن يغفلوا عن أناسٍ يحيَون في ظلمات الشرك والضلال، وهم في خطر عظيم، إن ماتوا على غير الإسلام فهم من أهل النار، كما قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار»[1].

وإن مما يُفرح القلب أن هناك جهودًا فردية من بعض الأحباب الغيورين في بعض المدن والبلدان، لكنَّها – والحق يُقال – لا ترقى إلى المستوى المطلوب، ولا تقابل ضخامة هذا الواجب العظيم، فلا بد من تفعيل هذا الجانب المبارك من خلال:

- تشجيع العلماء وطلبة العلم وأهل الفهم والبصيرة على حمل راية دعوة غير المسلمين، واعتبارها من أعظم أعمال الدين.
- تنظيم لقاءات غير المسلمين بوسائل حكيمة ولطيفة، وإعداد مواد تعريفية بالإسلام بلغاتهم.
- تكوين جماعات شورى في المساجد لتخطيط هذه المهمة، وتوزيع المهام على حسب القدرة والخبرة.
- إقامة مراكز دعوية مهنية، تعتمد على أساليب دعوية عصرية، وتخاطب العقول والقلوب معًا .

ومما لا يقلّ أهمية عن دعوة غير المسلمين، هو العناية الفائقة بمن دخل في الإسلام، فإن هذا الداخل الجديد قد ضحّى بدينه السابق، وبأُسرته، وأصدقائه، وأحيانًا بوظيفته ومكانته الاجتماعية، فلا يليق بالمسلمين أن يتركوه وحده في مَهَبِّ الريح، بل يجب أن يكونوا له عونًا وسندًا وظهرًا بتأليف قلبه، كما كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يعاملون الداخلين في الإسلام.

فعلى المجتمع المسلم أن:

- يتكفّل بتعليمهم أمور الدين من عقيدة وعبادة وأخلاق.

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٢٤٠).

- يساعده في حاجاتهم المعيشية من مسكن ومأكل ومصدر دخل كريم.
- يُوفّر لهم بيئةً إسلامية أخوية تمنحه الطمأنينة والانتماء.
- يساعدهم في الزواج من أسر مسلمة صالحة، إن رغب في ذلك.
- يشجعهم على المشاركة في الأعمال الدعوية حتى يكونوا قدوة لقومهم، ومفاتيح لهدايتهم.
- يحذر من تركهم فرائسَ للوحدة أو الضياع، مما قد يعرضه للردّة (والعياذ بالله).

وفي الختام، فإننا نناشد أحبابنا الكرام وأهل الغَيرة على دين الله أن يُولوا هذا الباب ما يستحقه من الاهتمام، فإن النفوس إذا نجت من النار بسبب دعوتنا، كان ذلك خيرًا لنا من الدنيا وما فيها، وقد جاء في الحديث الشريف: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا، خيرٌ لك من حمر النعم»(٢).

نسأل الله أن يجعلنا من الدعاة إلى سبيله، المخلصين في عملهم، المُوَفَّقِين في سعيهم، وأن يَهْدِيَ بنا القلوب، ويجعلنا سببًا في دخول الناس في دين الله أفواجًا. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٢) «صحيح البخاري» (رقم٤٢١٠). «صحيح مسلم» (رقم٢٤٠٧).

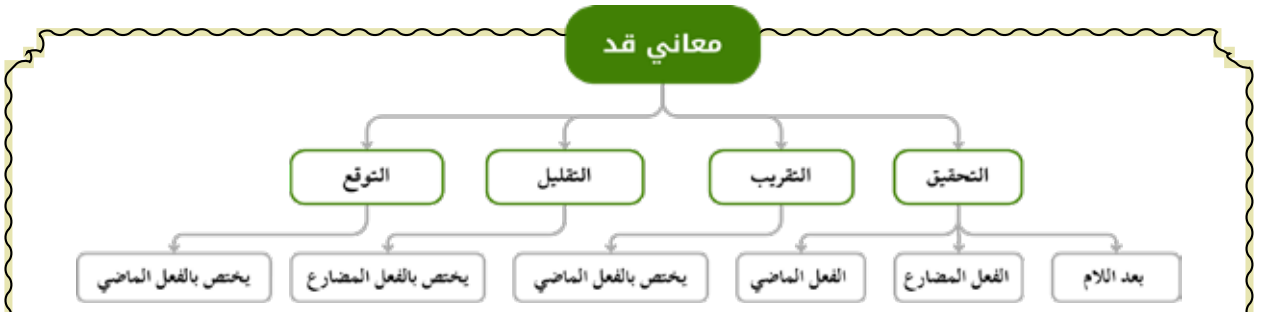

«**قد**» لها أربعة معان، وذلك أنها تكون حرف تحقيق، وتقريب، وتقليل، وتوقع.

فالتي **للتحقيق** تدخل على الفعل المضارع، نحو: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤]، أي: يعلم ما أنتم عليه حقا،﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤]وعلى الماضي نحو: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [البلد: ٤] ؛ وكذا حيث جاءت قد بعد اللام فهي للتحقيق.

والتي **للتقريب** تختص بالماضي، نحو قول المؤذن: «قد قامت الصلاة»، أي: قد حان وقتها، ولذلك يحسُن وقوع الماضي موضع الحال إذا كان معه قد، كقولك: «رأيت زيدا قد عزم على الخروج»، أي: عازما عليه

والتي **للتقليل** تختص بالمضارع، كقولهم: «قد يصدق الكذوب، وقد يعثر الجواد» أي: ربما صدق الكذوب، وربما عثر الجواد.

والتي **للتوقع** تختص بالماضي، قال سيبويه: وأما «قد فعل» فجواب «هل فعل؟»؛ لأن السائل ينتظر الجواب: أي: يتوقعه، وقال الخليل: هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر، يريد أن الإنسان إذا سأل عن فعل أو علم أنه يتوقع أن يخبر به قيل: «قد فعل»، وإذا كان الخبر مبتدأ قال: «فعل كذا وكذا»، ولم يأت بقد، فاعرفه.

شرح شذور الذهب لابن هشام،، ص: ٦٤

شامة الحرّية على جبينِ باكستان

أ. ظاهر شاه

الوطن شجرة طيبة لا تنبت إلا في تربة التضحيات، وتُسقى بالعروق والدماء، وهو مهوى الفؤاد وإرث الآباء والأجداد، بل هو مولد المفاخر ومنبع المآثر، وحصيلة جهود الأسلاف والأكابر.

ولا شك أن حب الوطن هو الذي يجعل المرء يحمل عبء دفاعه على الأكتاف، ويعانق الشدائد والمكاره بكل شوق وحماسة في سبيل حماية وطنه من الأعداء، فكيف بباكستان! البلدة الطيبة التي أُسست على كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فيجدر بأبنائها أن يعتزوا بها فخرًا وكرامة.

باكستان إحدى الدول الإسلامية في جنوب آسيا، تحدُّها الهند من الجهة الشرقية، وأفغانستان من الجهة الشمالية الغربية، وإيران من الجهة الجنوبية الغربية، وتحيط بها الصين من الجهة الشمالية الشرقية، ولها حدود بحرية مع عُمان، وتقع في المرتبة السادسة والثلاثين عالميًا من ناحية مساحة الأرض، ومعنى كلمة باكستان «الأرض الطاهرة والنقية»، وهي كلمة فارسية، وباكستان هي الدولة الوحيدة العالم التي يتضمن اسمُ عاصمتها كلمةَ «الإسلام»، فعاصمتها «إسلام آباد»، والرابع عشر من أغسطس سنة ١٩٤٧م هو اليوم الذي استقلت فيه الدولة من الهند.

فلا يتبادرنَّ إلى ذهن أحد أن باكستان أرضٌ وجدناها بسهولة وعذوبة، ورثناها كابراً عن كابر دون معاناة ومشقة ومكابدة جهد، فإن في الحصول على هذه البقعة المباركة تفجرت عيون الدماء من الصدور، وانفصلت الأعناق عن أكتافها، وبات الرجال لياليهم سُجّدا، ودِيست أجسادهم تحت دبّابات الأعداء، وهكذا استمرت حركات التحرر حتى أمكن استقلال باكستان من الهند عام ١٩٤٧م، وأكثرُ مَن اجتهد وفدى بنفسه تجاه تحريرها هم العلماءُ خاصةً والناسُ عامةً.

في اليوم السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٦٦هـ، والرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٧م يوم الجمعة بدأ الناس يحتفلون باستقلال باكستان، فالعلامة شبير أحمد العثماني رحمه الله أعلى علم باكستان ورفعه بيده المباركة بكراتشي بعد فراغه من تلاوة القرآن الكريم وإلقاء الكلمة، وضرب له عسكر باكستان التحية، وفي اليوم نفسه رفع العلامة ظفر أحمد العثماني رحمه الله لواء باكستان بـ«دهاكة» عاصمة بنغلاديش حاليًا بعد قراءة سورة الفتح.

وإنه لَمِن المؤسف أن الشعب الباكستاني أصبح يسير مسيرةً غير مرضية في الاحتفال بيوم الاستقلال، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، فقدّروا تضحيات آبائهم وأجدادهم بعَقد حفلات الأناشيد والأغاني الممزوجة بالموسيقى، وما إلى ذلك من المنكرات والقبائح من اختلاط الرجال بالنساء، وإسفارهن في هذا اليوم، فلا جدوى لذلك؛ فهي لا تملأ الفضاء إلا ضجيجا وعذابا، والجيل الجديد لا يهمهم الاطلاع على ما جرى في ساحة التاريخ عند استقلال باكستان، فلا يرون الحرية إلا أن يلبسوا في هذا اليوم لباسًا أخضر، وينصِبوا رايات الوطن على البيوت، ويُنافِسوا في تفجير المفرقعات النارية، فمن سبقهم في ذلك فهو أكثرهم حُبًّا للوطن، وأما البعض الآخر؛ فلا تعجبهم هذه التصرفات فيكتفون بأن يُلصقوا وسام الوطنية على ملبوسهم، ويرون في ذلك شرفًا وحبًّا للوطن، وقد كثرت الهويات في هذا اليوم واختلفت حسب اختلاف الأذواق والألوان، حتى إن بعضهم يَصُدُّون عن الطرق لوسائل النقل، فأي حريةٍ هذه؟

فكلٌّ قد فهم الحرية حسب فهمه وما يتراءى له فيها من

المصالح والمنافع، وإن كانت لا تَمتّ إلى الدين بصلة دون أن يختار مسلك الاعتدال في إدراك معنى الحرية، فالمجرم فَهِم الحرية على معنى إطلاق يده في ارتكاب الجرائم حسب ما يشتهي قتلًا وسلبًا وعدوانًا وظلمًا، وفَهِم الفُسّاق والفُجّار الحرية بأن لهم حقًّا كاملًا في أن يفسقوا ويفجروا كيفما يريدون دون أن يكون لأحدٍ أو جهةٍ ما حقٌّ في مؤاخذتهم ومحاسبتهم، أو كفّهم عن فسقهم الذي لا يكاد يحدّه حدود، وفَهِم من يَسلب الأموال أن الحرية هي أن يُسرّح هو في أصناف الغش وضروب القمار وألوان الخدَع وأنواع الحِيل لسلب أموال الناس وهم على غِرّة وغفلة، وأدرك العمّال والأجراء الحرية على تقاضي الأجور المرتفعة دون أن يقوم بعمل أو وظيفة تحقّق لهم الأجور الباهظة التي يتقاضونها، وفَهِمَت النساء الماجنات انسلالهنّ من العفة وتبرّجهنّ بحسب أهوائهنّ وانفلاتهنّ من كلّ حقٍّ يجب عليهنّ لبعولتهنّ، وفَهِم الفتيان والفتيات الحرية توغّلهم في مساوئ الأخلاق، وانفلاتهم من أيدٍ مربّية، وتمردهم على المعلمين، وعقوق الوالدين.

ألا يخطر ببالهم، ويكترثون لما قد ضحّى العلماء والأجداد من التضحيات من أجل أن يستقل هذا البلد، ويكون المسلمون تحت راية التوحيد، ويعيشوا في راحة وأمن وسلام. ولكن فاتهم هذا المقصد الأسنى وعادوا يُقلّدون في حفلاتهم وتصرفاتهم أولئك الأعداء الذين سَكَبوا دماء أسلافهم سكبًا، فيبدو من ذلك أنهم ما زالوا تحت سيطرتهم وتسلطهم، ونشعر من ذلك أنهم أحرار قالبًا لا قلبًا وفكرًا، فإلى الله المشتكى.

فها نحن الآن في تلك اللحظات، فليقُم كل من أراد الاحتفال بعيد الاستقلال، وليُظهر حبَّه الكامن في صدره تجاه وطنه، ولكن قبل المبادرة والمُسارعة إلى ذلك ليفهم أن الأرض لا تُقصَد من حيث كونها أرضًا، بل من حيث كون الإسلام والدين فيها، فإن كان الإسلام وأحكامه نافذةً في أرض باكستان، وكان نظام الدولة على منهجٍ أصّله الإسلام فبها، وإلا فنحن بحاجة ماسة إلى التفكر في ذلك، ولنراجع أنفسنا أننا استقللنا باسم الإسلام، فإن كان في بيوتنا وأسواقنا ذلك فالحمد لله عليه، وإلّا فإننا لم نظفر بمقصودنا الأصلي من الاستقلال والحرية، فلا معنى إذًا للاحتفال بعيد الاستقلال، ولا بأس بالاحتفال وفق الأصول الشرعية دون تجاوز حدودها؛ فينبغي لنا أن نقوم في هذا اليوم بأعمال إيمانية تهزّ قلوب الأعداء، وتُخيِّب ما يرجونه منّا من خلاف وفسادٍ في الوطن ، وعصيان المالك الحقيقي جلّ جلاله في مثل هذه الفُرص.

وفي نهاية المطاف أقول: إنه ليحقّ لنا أن نشكر الله تعالى على نعمة الوطن التي أهداها إلينا؛ فإنها غالية لا تُقدَّرُ بِثَمن، وإلا فنصير كمن تسلّط على بلده الأعداء، وفَقَده فقدانًا لا يُرجى رجوعه إلى أيدي المسلمين، كما قال أحد الحكماء: «من كان في نعمةٍ فلم يشكر، خرج منها ولم يشعر».

وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما عند وفاته

"إني مُسْتَخْلِفُكَ مِن بعدِي، ومُوصِيكَ بتَقْوى الله. إنّ لِله عملا بالليل لا يقبَلُه بالنهار، وعملا بالنهار لا يقبلُه بالليل، وإنه لا تُقبل نافلةٌ حتى تُؤَدَّى الفريضةُ؛ فإنما ثقُلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثِقلِه عليهم، وحُقَّ لِميزان لا يُوضع فيه إلا الحقُّ أن يكون ثقيلا.

وإنما خَفَّت موازين مَنْ خفَّت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطل وخِفَّتِه عليهم، وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطلُ أن يكون خفيفا.

إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوزَ عن سيئاتهم؛ فإذا ذكرتهم قلتَ: إني أخاف ألا أكون من هؤلاء. وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ولم يذكر حسناتهم، فإذا ذكرتهم قلتَ: إني لأخاف ألا أكون من هؤلاء، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب، ليكون العبد راغبا راهبا، ولا يتمنى على الله غير الحق، ولا يُلقي بيده إلى التهلكة.

فإذا حفظتَ وصيتي فلا يكُنْ غائبٌ أحبّ إليك من الموت، وهو آتيك. وإن ضيَّعتَ وصِيَّتي، فلا يكن غائب أبغض إليك من الموتِ.. ولستَ بِمُعجِز الله.."

رواه أبو عبيد القاسم بن سلّام في الخطب والمواعظ (الرقم: ١٣٢) بسنده، وسعيد بن منصور في سننه (الرقم:٩٤٢) عن عمر مرسلا.

التساهل الفاشي
في المرور بين يدي المصلي

أ. حارث كسباتي

قد فشا في الناس – فيما شاهدت – المرور بين يدي المصلِّي من دون تنبُّهٍ وتوقُّفٍ واستعظام لحرمة المرور، ويُخيَّل إلى الرائي كأن ليس بالمرور أيُّ بأس، وكأنَّ تعجُّله لحاجتِه أعظمُ وأكبرُ من تعدِّي حرمات الله، وذلك شائع من دون تفريق وتمييز بين الكبير والصغير، فلا أدري أذلك للجهل عن أوامر الله؟ أو للاستخفاف بحدود الشريعة؟

وقد دلَّت على خطورة هذا الأمر غيرُ واحد من الأحاديث والآثار، فقد أخرج الإمام مالك في الموطأ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدا يمر بين يديه، وليدرأه ما استطاع، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان»[١] وأخرج عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار؛ أن كعب الأحبار، قال: «لو يعلم المار بين يدي المصلي، ماذا عليه، لكان أن يخسف به، خيرا له من أن يمر بين يديه»[٢].

وأخرج الدارمي أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يقوم أحدكم أربعين، خير له من أن يمر بين يدي المصلي» قال: فلا أدري سنة أو شهرا أو يوما.[٣]

والسنة هو المتعيّن، لما روى الطحاوي في مشكل الآثار: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الذي يمر بين يدي أخيه معترضا وهو يناجي ربه لكان أن يقف مكانه مئة عام خير له من الخطوة التي خطا» قال أبو جعفر: فدل ذلك أن تلك الأربعين من الأعوام لا مما سواها من الشهور ومن الأيام، واللهَ نسأل التوفيق.

(١) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (١/ ١٥٩)

(٢) موطأ مالك ت الأعظمي (٢/ ٢١٦)

(٣) سنن الدارمي (٢/ ٨٨٨)

وحديث أبي هريرة هذا هو عندنا – والله أعلم – متأخر عن حديث أبي الجهيم الذي رويناه في صدر هذا الموضوع؛ لأن في حديث أبي هريرة الزيادة في الوعيد للمار بين يدي المصلي، وفي حديث أبي الجهيم التخفيف، وأولى الأشياء بنا أن نظنه بالله تعالى الزيادة في الوعيد للعاصي المار بين يدي المصلي، لا التخفيف من ذلك عنه في مروره بين يدي المصلي[٤].

وجاء في مصنف عبدالرزاق عن قتادة قال: قال عمر بن الخطاب: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه، كان يقوم حولا خير له من ذلك، إذا لم يكن بين يدي المصلي سترة»[٥].

نعم، يجوز المرور وراء الحائل كإنسان، أو جدار، أو عمود، أو سترة، ويشترط في السترة أن يكون بقدر ذراع طولا (واحدا ونصف قدم) وفي غلظ الأصبع عرضا[٦]، ولا يجوز بغير ذلك[٧].

وإن كان المسجد كبيرا يساوي أربعين ذراعًا جاز فيه المرور بين يدي المصلِّي مما لا يبلغه نظرُه إن كان موضع سجوده، وقُدِّر ذلك بالصَّفَّين سوى صفِّه الذي يصلِّي فيه، وليُعلم أنَّه لا يجوز ذلك إلَّا في المسجد الكبير، أو الميدان الكبير، أو السَّاحة الكبيرة، ولا يجوز في المسجد والساحة الصَّغيرين.

(٤) شرح مشكل الآثار (١/ ٨٤)

(٥) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٢٠)

(٦) رقم الفتوى: ١٤٤٢٠٢٢٠٠٣٢٧

(٧) [(سترة بقدر ذراع) طولا (وغلظ أصبع) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (١/ ٦٣٧)]

فيُفرض على منظِّمي المساجد وضعُ السُّتَر بين الصُّفوف، فإن شقّ ذلك فبين ساحتين، وتعليق اللَّوحات بمرأى العامة، تُذكر فيها بالحروف الجليَّة خطورةُ المرور بين يدي المصلِّي، والإنذارُ الشَّديد الذي وردتْ به الأحاديث، إضافةً إلى التَّلقين من إمام المسجد وبيان أهمِّيَّة الأمر.

ولو مرَّ أحد بين يديه وهو يصلِّي فليسبِّح أو يشير بيده أو يأخذ بطرف ثوبه من غير مشي ومعالجة شديدة[٨].

فالحاجة ماسة إلى التنبيه حول هذا الأمر المهم، فإن الأمر الشرعيَّ متى تجاهله الناس أو تناسوه، وقلَّ فيه كلامُ العلماء، أصبح نسيا منسيًّا لدى الجيل القادم، حتى إذا أخبر أحدهم بذلك تعجب وتحيَّر، حيث لم يوجَّه إليه مدى عمره، وطُولَ فُتُوَّتِه.

هذا ما أردت لفت النَّظر إليه في هذا المقال الوجيز، ونرجو من الذين يتولون شؤون المساجد أن يقع منهم هذا الكلام موقع قبول وإجابة، والله هو الموفق لكل خير.

(٨) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ٢١٧)

أثر القراءة الجهرية في إكساب الفصاحة وتقويم اللسان

نقل الشيخ محمد عوامة حفظه الله في كتابه النفيس «معالم إرشادية » عن أبي الهلال العسكري، يقول:

«حكي لي عن بعض المشايخ أنه قال: رأيت في بعض قرى النبَط فتًى فصيح اللهجة، حَسَنَ البيان، فسألته عن سبب فصاحته مع لُكنة أهل جِلدته؟ فقال: كنت أعمِد في كل يوم إلى خمسين ورقةً من كُتُب الجاحظ، فأرفع بها صوتي في قراءتها، فما مر لي إلا زمان قصير حتى صرت إلى ما ترى. وحُكي عن أبي حامد الإسفراييني إمام الشافعية في وقته: أنه كان يقول لأصحابه: إذا درستم فارفعوا أصواتكم؛ فإنه أثبتُ للحفظ، وأذهب للنوم».

ثم قال الشيخ: أما أنا فأؤكد على الطلبة هذا الأمر: القراءةَ الجهرية، لكن أؤكد عليهم الجهر بقراءة وِردهم اليومي من القرآن الكريم، يضاف إليه مقدار من كتاب مضبوط بالشكل التام، أو شبه التام من كتب السنة النبوية المسندة، كـ «صحيح البخاري» مثلا، أو غير المسندة كـ «رياض الصالحين»، ففيه اطلاع على السنة النبوية، وفيه تقويمُ اللسان على القراءة المضبوطة الصحيحة، فليس المهم القراءة فقط، بل المهم القراءة مع الضبط القويم.

فإذا اعتاد لسانُهم السلامةَ، قرؤوا صفحة أو صفحتين من كتاب «حياة الصحابة» رضي الله عنهم، للعلامة الداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله تعالى، وأوصيهم بقراءة كتابين لكاتب الإسلام والعربية أديب العلماء وعالم الأدباء الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، هما «رجال من التاريخ»، و«قصص من التاريخ» للاستفادة من أسلوبه في الكتابة والبيان؛ فإنه (السهل الممتنع).

(معالم إرشادية لصناعة طالب العلم، ص: 260 ، 261)

الحلقة (٢)

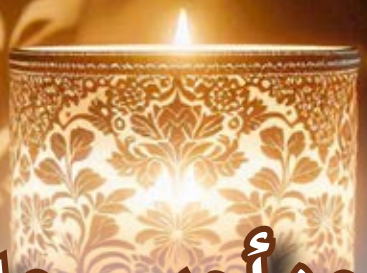

الدكتور أمجد أحسن علي رحمه الله

حياته العطرة، ومآثره الخالدة

أ. نصير الله المنصور

تأسيس مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما للبنين:

ولم يكتفِ بهذا القدر من الخير، فأسَّس معها مدرسة البنين سماها «مدرسة ابن عباس» الواقعة بحي جلستان جوهر بكراتشي سنة ٢٠٠٠م، لقد أُسِّست على ركنين متينين:

- الدعوة إلى الله.

- تعليم العلوم الشرعية باللغة العربية ونشرها في العالم.

فاستقطبَ لها العلماءَ الدعاةَ والمهرة في تعليم اللغة العربية الفصحى من داخل البلد وخارجه، الذين ساهموا بشكل كبير في ترسيخ بيئة اللغة العربية، فكانت الدراسة من اليوم الأول باللغة العربية، ولا تخفى على المُلم الخبير خيراتُها ونفحاتُها التي سرتْ في مشارق الأرض ومغاربها؛ ولا تزال تؤتي ثمارها، ثم توسعت هذه الدائرة فتفرَّعت إلى فرع في إسلام آباد وفرعين في كراتشي (أورنكي تاؤن) و (كاتهور)، ما عدا الأقسام التي اكتنفتها كقسم الروضة في (بهادر آباد، كراتشي)، وقسم التحفيظ للأطفال، وقسم الحفاظ، وقسم حفظ الحديث، للذين يحفظون الأحاديث من كتابي البخاري ومسلم.

تأسيس روضة عائشة

(المنهج التفاعلي باللغة العربية للأطفال)

كان حب الدكتور رحمه الله للغة العربية أمرًا يفوق الوصف، وكان يؤمن بأن الأمة لن تنال حريتها الحقيقية إلا إذا أصبحت لغتها العربية، وانطلاقًا من هذا المبدأ، قرر تأسيس روضة عائشة للأطفال الذين لا يتجاوز أعمارهم أربعَ سنوات، ليكونوا منذ نعومة أظفارهم قادرين على النطق باللغة العربية الفصحى.

وقبل إنشاء هذه الروضة، سافر الدكتور رحمه الله إلى عدة دول للاطلاع على أحدث المناهج التعليمية، كما قام بتدريب المعلمات على منهجية المونتيسوري (وهو أسلوب تعليمي يركّز على التعلم الذاتي للأطفال من خلال بيئة مُعدّة تشجّعهم على الاستكشاف والاستقلالية باستخدام الحواس والحركة)، وذلك لضمان تعليم نوعي ومتميز، ثم اجتهدت المعلمات بجدٍ وإخلاص في إعداد المناهج، حتى تحقق حلم الدكتور في تأسيس روضة ذات مستوى تعليمي راقٍ للأطفال باللغة العربية، وامتازت بمنهجيتها وأسلوبها في الدارسة:

جميع المواد الدراسية تُدرَّس باللغة العربية فقط، مما يجعل الطفل يكتسب اللغة بالفطرة.

يُمنع استخدام أية لغة أخرى داخل الروضة، لضمان بيئة لغوية نقية.

يتم تطبيق أفضل أساليب التعليم التفاعلي والمونتيسوري، بحيث يتعلم الطفل بطريقة شيقة وطبيعية.

وهكذا، أصبحت روضة عائشة نموذجًا فريدًا في تعليم الأطفال باللغة العربية منذ الصغر، مما يقوّي ارتباطهم بالقرآن الكريم والعلوم الإسلامية في المستقبل.

إنشاء مكتبة البشرى:

كان الدكتور رحمه الله دائم القلق والتفكير في أن طباعة الكتب في شبه القارة الهندية لا تلبي المتطلبات العصرية ومقتضياتها، مما أدى إلى حرمان العالم الإسلامي من الهوامش والشروح القيمة التي كتبها علماء الهند وباكستان

على كتب الحديث والعلوم الإسلامية الأخرى.

أبرز المشكلات التي لاحظها الدكتور رحمه الله:

- انخفاض جودة الطباعة مقارنة بالمطابع العالمية.

- ضعف الإخراج الفني، مما يجعل الكتب تفتقر إلى الجاذبية للقارئ.

- صعوبة البحث والقراءة بسبب عدم وضوح النصوص وعدم ترتيب الفهارس بشكل احترافي.

فأنشأ مكتبة البشرى سنة ٢٠٠١ للميلاد، التي امتازت بطباعة كتب المقرر الدراسي في أجمل حلة وأنفس طباعة وأرخص قيمة، استفاد منها الطلاب والعلماء داخلَ البلد وخارجه، وأُعجبوا بها إعجابا مذهلا، ولا تكاد تجد مدرسة من مدارس باكستان تخلو من كتبها.

الخدمة الفريدة للحديث النبوي:

في الهند وباكستان، يُتداول قراءة متون الصحاح الستة مع أسانيدها، وشروح مضامينها، وذكر اختلافات الروايات. ولكن لم يكن هناك عرف سائد لحفظ متون الحديث، كما هو الحال مع حفظ القرآن الكريم.

ومن هنا، قام الدكتور رحمه الله بخطوة غير مسبوقة، حيث أسس قسمًا مستقلًا داخل المدرسة باسم «حفظ الحديث»، يهدف إلى إحياء حفظ السنة النبوية جنبًا إلى جنب مع تدريسها وفهمها.

تفاصيل قسم حفظ الحديث:

الطلاب والطالبات يحفظون كتاب «الجمع بين الصحيحين» لمؤلفه الشيخ يحيى بن عبد العزيز يحيى، وهو كتاب يقع في ستة مجلدات.

قام أساتذة المدرسة بإعداد مجموعة مختارة من الأحاديث، وتم إلزام طلاب «الدرس النظامي» بحفظها.

أصبح حفظ أكثر من ١٠٠٠ حديث جزءًا من المنهج الدراسي، ويتم إجراء اختبارات رسمية للحفاظ، تمامًا مثل القرآن الكريم وغيرها من المواد الدراسية.

لم يقتصر أثر هذا المشروع على المدرسة فحسب، بل أصبح له تأثير واضح في الحياة الاجتماعية، حيث انعكس على أسلوب تدريس الحديث وطريقة فهمه وتطبيقه.

وبعد نجاح هذه المبادرة، بدأت العديد من المؤسسات العلمية الأخرى في الهند وباكستان تدرك أهمية حفظ الحديث، وقامت بإدراج «حفظ الحديث» ضمن مناهجها الدراسية، إن هذه الخطوة التي خطاها الدكتور رحمه الله أحدثت تحولًا كبيرًا في مجال دراسة الحديث، حيث لم يعد الأمر مقتصرًا على فهم النصوص فقط، بل أصبح حفظها أيضًا جزءًا من المنهج العلمي، مما قوّى ارتباط الطلاب بالسنة النبوية الشريفة.

العلاج بالحجامة والأغذية المسنونة:

الدكتور رحمه الله لم يكن ليدع العمل بالسنن الشريفة في حياته العادية حتى في علاجه للناس، فكان ينصح الناس بالعلاج المسنون، ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم، فإذا أتاه آت بالتحليلات المكثفة والأشعة الصينية المتراكمة لم يكن ليتأثر بها أو يتنازل عن رأيه في العلاج بالأغذية والحجامة، فكان يصف لهم العلاج بالحجامة وهو على يقين به، فاستفاد منه خلق كثير، لقد كان الشيخ الدكتور رحمه الله محييا لهذه السنة المهجورة، وله في طريقة العلاج بالحجامة كتاب بالأردية والعربية، ينبغي أن يقتنيه العامة والخاصة، اسمه «الحجامة، سنة وعلاج».

العلاج بالصلاة:

كان يقول في أكثر كلماته «من صحت صلاته صح جسمه»، فقد عالج الكثير من الناس الذين اشتكوا آلام ظهورهم، فكان يرغب في أدعية الصلوات المأثورة في قيامها وركوعها وسجودها، وكان يستدل بأحاديث صحيحة، وبالفعل؛ أنشأ بيئة في محيط المدرسة وفروعها، فأصبحت الصلوات تؤدى في محيطها بكل هدوء وطمأنينة وخشوع وخضوع من غير استعجال، وأصبحت أقرب إلى السنة بكثير؛ بحيث يتمكن المقتدون من الاهتمام بالأدعية المأثورة في القومات والجلسات.

وآن الأوان بأن أختتم ذكره الطيب، بقوله الذي كان يردده كثيرا:

«إذا سألتم فاسألوا الله تعالى ولا تسألوا المخلوق شيئا».

الرحلة إلى دار الآخرة:

لقد وافاه اليقين وهو في خمس وثمانين من عمره ليلة الاثنين بتاريخ ٢٧ من أغسطس سنة ٢٠٢٣م، مخلّفا وراءه طلابا يحملون مشعل دعوته، وأحبّة يذكرونه دائما في دعواتهم، ومآثر خالدة تشهد له عند الله بإذنه، وعلما ينتفع به وأثرا لا يُمحى، وسيرة طيبة تبقى ما بقي الدهر.

أسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته وفضله ويدخله فسيح جناته، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده.

الحلقة (٢)

رحلة الشيخ عمر فاروق رحمه الله إلى الدار الآخرة

أ. عبد الرحمن عبد الله

أيها القارئ الكريم، نضع بين يديك سيرة عطرة للشيخ الجليل عمر فاروق رحمه الله، وهي رحلة ماتعة تكشف عن حياة عالم عامل، وإليك الحلقة الثانية والأخيرة منها، وهي تتحدث عن مَعِيْن علمه ونبع حكمته، ومآثره التي بقيت شاهدة على حياة حافلة بالعطاء. نسأل الله أن ينفعنا بسِيَر الصالحين ويُلْهِمَنَا الاقتداءَ بهم.

كان حديثه موزونا، لا تجد فيه لفظة زائدة، وإذا ألقى كلمة، كانت منضبطة بميزان دقيق، كأنه مجموعة من الدرر انخرطت في سلك وتتابع سقوطها إذا انقطع السلك.

بل يصدق في حقه أن أقول: إن الله تعالى جعل شخصيته جامعة للمحاسن المتناقضة، فكان حينما يمسك نفسه عن نطق كلمة زائدة ففي الوقت ذاته يمتد كلامه إلى ساعات يخاطب فيها البشر وهم يسمعونه بلا كلل ولا ملل. فكان أحيانا يلقي عليهم دقائق القرآن ومعارفه،و تارة يغدق عليهم بدرر ولآلئ من الأحاديث النبوية الشريفة، وطورا يفتح لهم جوانب مضيئة من سير الصحابة وحياة السلف، وكل هذا والساعات الطويلة تمر في طرفة عين، إنه في حين قدرته الفائقة على ملكة السيطرة على السامعين إلى ساعات، كان أحيانا يشفي غليل السامعين في دقائق معدودة، فكان آنذاك مَظْهَر صفة جوامع الكلم، إنه كذلك جَمَعَ صفة التبتل مع حسن العشرة، وجمع الزهد والتقوى مع روح الدعابة بحكمة عجيبة لا بد أنه أُوْتِيَهَا من ربه الجليل، كان في ذاته جادا ومنقطعا إلى الله، ولكن حين توسط المجلس كان روحا وريحانا.

عندما كان يحضر لتدريس (الصحيح لمسلم) يظهر على ملامحه جلال الذكر، فلا تجرؤ العين على التحديق إليه، لكن بعد قليل من الحديث تزول تلك المهابة، فنعود للتعامل معه باستئناس كالسابق.

وأما مجلسه في شرح الحديث، فهو مشهد لا يمكن وصفه، ولا يدركه إلا من حضر بنفسه واستفاد من تلك النفحات الربانية. كان يربط نصوص الشروح المختلفة بصياغة بليغة، حتى يبدو أن المشهد العلمي قد تجسّد، وكنا نتخيل أئمة الحديث كالإمام النووي وعبيد الله السندي والعلامة شبير أحمد العثماني وغيرهم حاضرين يناقشون دقائق الحديث وشروحه فيما بينهم، وألسنتنا تكاد تلهج بسبحان الله، لكن قبل أن نقولها تأسرنا الجملة التالية بعمقها العلمي.

وعندما يختم درسه، يغلق الكتاب بهدوء، ويخرج بصمت، وبنفس التواضع الذي دخل به دون ضجة بطانة ولا حاشية.... مشهد لا ينسى، ولا يمكن وصفه، بل يُشعَرُ به فقط، وهو ما زال يهز أوتار القلب، وهل يستطيع فلاسفة الأرض جميعا أن يصفوا عبيرَ زهرةٍ بالكلمات...؟

ذات مرة قَدِم بعض علماء اليمن إلى المدرسة، وكانوا يُلِحُّون شديدا على حضور درس الحديث، وكانت رغبتي أن يجلس كل من جاء يطلب علم الحديث في حلقة الأستاذ. وكان الأستاذ بسبب ضعفه في تلك الأيام يعقد حلقته في صحن المسجد، وألح الضيوف في طلب الحضور، فذهبت إليه مرارا أريد طلبَ الإذن بالمشاركة، لكن هيبة الدرس

منعتني من التقدم، فلما انتهى الدرس بادرت إلى عرض الأمر على الأستاذ، فأخبرته بقدوم بعض علماء اليمن لطلب إجازة في الحديث، فسرّ بذلك وأجازهم بكل سرور.

فاغتنمت الفرصة وسألتُه: «أ كُلّ من يبدي رغبته في حضور درسك آتيك به؟» فدنا مني، وقال بصوت خافت: «لا تأت بهم، أنت تعلم أن درسي لا يبلغ تلك المنزلة، وهؤلاء ربما يجيئون بآمال عالية فلا يجدونها هنا». الله أكبر... ما هذا التواضع مع مقامه العلمي الرفيع الذي تشهد له المجامع والمحافل.

كان يدافع عن المذهب الحنفي بأسلوب رصين رفيع، لا يُشْعَرُ فيه بأدنى قدر من التعصب أو التكلف، فيُبْرِزُ من خلاله عمقَ المذهب الحنفي وسَعَتَه بِجَلاء، وكان قد وهبه الله قدرة عالية في المقارنة بين المذاهب الأربعة وبيان أرجحية المذهب الحنفي.

كان رحمه الله دائما يركز على الجوانب الإيجابية، ويتجنب الأمور السلبية التي لا يرجى منها أي نفع.

وكان شديد الشغف بالقرآن الكريم، كثير التلاوة له، يقرأه بذوق واستحضار، وكانت له نظرة عميقة في علومه، فيستنبط دقائق المعاني في مواضعها، ويستحضر الآيات في التطبيقات العملية بشكل بديع.

ومما يدل على عمق فقهه للقرآن أني سألته مرة: أنا أشتغل بالتجارة، وغالبا تراودني الرغبة في أن يصبح فلان من الزبائن، فهل هذا ينافي الاستغناء والزهد فيما في أيدي الناس (كما هو المطلوب في الحديث)؟

فأجاب قائلا: الظاهر أن الزهد فيما في أيدي الناس يعني أن لا يطمع المرء في أموالهم وأمتعتهم، ولا يعني أن لا يسعى إليهم في البيع والشراء، لأن البيع مبادلة، لا منٌّ ولا هبة، والممنوع هو الميل القلبي لهديتهم، أما السعي لكسب الزبائن في البيع فليس مناقضا للزهد، بل هو مستحب ومندوب ونوع من الامتثال لقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠].

فمن هذا الجواب يتجلى مدى تمكنه من فقه معاني القرآن الكريم ودقته في تنزيلها على الواقع.

قال مرة: «إن الضابط للنجاح عند الله هو كثرة الحسنات، لا خلو الصحيفة من السيئات، كما قال سبحانه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]، لكننا إذا بدت لنا زلةٌ واحدة في أحد، سقط في أعيننا، مع أن الله قد جعل الأمر يسيرا، ونحن جعلناه عسيرا.

كان متفانيا في علاقته مع ربه على نحو يكسو كلماته البسيطة بِوَهج روحاني خاص، فإذا تكلم كان له نفوذ في أعماق القلوب. قال لي مرة في جواب سؤال: «واصِلِ الجهد، فما أراد «هو» أن يعطيك فسيعطيك». كلمات لا تَرى فيها غرابة، ولكنها احتلت مكانها في سويداء القلب.

كان الشيخ رحمه الله ممن أنعم الله عليهم بسكينة النفس وطمأنينة القلب، وهي لا شك من بركات الصلة بالله، فلا ترى في حديثه اضطرابا ولا في فكره تشوشا، وقد انعكست هذه السكينة على من حوله، فكم من مهموم جاءه مثقلا بأحزانه، فما هي إلا لحظات في حضرته، يسمع فيها كلمتين بالمحبة، حتى ينقلب قرير العين، خفيف النفس، هادئ البال، وكأنه رجع بدواء لِجِرَاحه.

وكان رحمه الله يحل أعقد الإشكالات في دقائق، سواء كانت علمية أو اجتماعية، كأنما أوتي عمق نظر وإلهاما ربانيا في كل أمر يُعْرَضُ عليه.

وفي شؤون الإدارة والتنظيم، ما إن يُعْرَضُ عليه أمر يلتبس فيه طريقُ العمل، حتى يضع فيه حلا حاسما دون تردد، وكأن الأمور تنجلي له في صفائها الأولى، ولا شك أن هذا من ثمار الحياة الطاهرة البعيدة عن المعاصي، ومن دلائل صفاء النفس وقوة الصلة بالله عز وجل.

وكان أحيانا إذا لم يستحضر الجواب يقول فورا: والله أعلم. أو يقول: راجعوا فلانا في هذه المسألة. بل قد يسأل هو بنفسه عن الأمر، فإذا بلغه الجواب، نقله للناس باسم قائله دون أن ينسبه إلى نفسه، في مشهد مِنْ أَصْدَقِ مشاهد الأمانة العلمية.

وكان رحمه الله صبورا شكورا بطبعه، كانت الأسقام قد أنهكته، ونحُل جسده فأصبح هزيلا ضعيفا، ولكنه عندما كان يُسأل عن حاله ، لم يكن يجيب إلا بقوله: الحمد لله، أحسن من قبل. في صورة من الرضا والتسليم قلّ أن تُرى.

وقد ذكر لي ابنه مولانا عبد الرب (خريج جامعة العلوم الإسلامية علامة بنوري تاؤن كراتشي) أنه كلما اشتدت عليه الحمى وساءت حالته: كان يقول لنا: «اخرجوا من الغرفة، فإني أريد مناجاة ربي». ثم يغطي نفسه بالرداء وينخرط في

البكاء طويلا، ويتودد إليه في خلوة المحبة والأنس.

كان شديد الشغف بسِيَر الأكابر، فبعد انقضاء اشتغاله بالتدريس في أواخر عمره، لم ينفكّ عن مطالعة حياتهم والتأمل في سِيَرهم، وأما كتب الفرق الباطلة، فكان زاهدا فيها أشد الزهد، لا يلتفت إليها ولو لمجرد المعلومات.

كان الأستاذ رحمه الله يقول بصدق وجدانيٍّ عميق: «من كانت نيته صادقة في طلب الشهادة، فإن الله يرزقه ميتة الشهداء». ثم يقرأ هذا الحديث: «من طلب الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه». نرجو إن شاء الله أن يكون الله قد منّ عليه بذلك المقام بفضله وكرمه.

كان متأثرا جدا بالعلامة بدر عالم الميرتهي رحمه الله، وكان يذكره غير مرة بإعجاب شديد، فكان يقول: إن الله رزقه الموت في الحجاز المقدس، واضطر الناس مرة إلى فتح قبره، فوجدوه فيه سليم الجسد، لم يتغير منه شيء. وكان الشيخ إذا ذكر ذلك، تحدث بشوق عجيب، كأنه يتمنى لنفسه مثل ذلك، وقد كان ما أراد، فبعد أن قضى حياته كلها في باكستان، اختاره الله للموت في الطريق راجعا من سفر الحرمين. وقال له أحد ذويه مرة: زقاق دارك ضيق لا يكاد يَسَع جنازتَك. فأجابه قائلا: «ليس موتي في بيتي، إنما موتي في سبيل الله».

وكان الأمرُ كما قال: فبعد تجشم عبء مرض طويل، تَيَسَّر له بحمد الله الذهاب لزيارة الحرمين الشريفين، ولما كان عائدا من تلك الرحلة المباركة انقضى أجله في الطريق، فأسلم الروح إلى بارئها يوم الأحد، السادس من إبريل سنة ٢٠٢٥م، في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا، رحمه الله رحمة واسعة ، وتغمده بغفرانه، وأحل عليه رضوانه، وأسكنه فسيح جنانه.

وأقول له في الختام: يا أستاذ!

وكانت في حياتك لي عظات

وأنت اليوم أوعظ منك حيا

إشراقات أدبية

ما أشد فراقك يا أماه!

أ. محمد كامران

أمي!... لم أكن أعلم أني سأكتب عنك يوما بصيغة الغائب، لم أكن أتصور أن يأتي يوم لا أسمع فيه صوتك، ولا أرى وجهك البسام ، مليئًا بالحب والحنان، ولا أجد اليد العطوفة عند الحزن بعدك.

يا أمي! منذ رحيلك من الدنيا، قد تغيرت ملامح الحياة في عيني وصارت صامتة، وأصبحت السماء موحشة، وأضحى الليل كالحا مخيفا لا يقطعه سوى البكاء.

فقدتك فلم أعد أجد من يسألني هل تناولت الطعام؟ أولم أتناول، أو كنت بخير أم لا، لقد كنتِ الحضن الذي ألجأ إليه عند التعب، والدعاء الذي يفتح لي باب السماء، والنور الذي يهديني في متاهات الحياة.

كلما ضاقت علي الدنيا واشتدت .. أبحث عنك فلا أجدك، كلما حزنت تمنيت أن لو أضع رأسي على صدرك، وأبكي كما كنت أفعل حينما كنت طفلًا، فتضعين علي كفك وتهمسين: «أنا معك». أما الآن، فلا أحد معي سوى ذكراك.

أدركت بعدك أن لا حب يشبه حب الأم، ولا أمان يفوق ظلها، وها أنا أعيش بدعائك الذي كنت ترددينه دائما، «رب احفظ ولدي» أشعر به يحرسني؛ لكنه لا يُطفئُ لهيبَ الشوق إليك.

يا أمي... لو كان الأمر بيدي، لافتديتك بعمري وبكل ما أملك، ورجوت أن تعودي لأقول لك: كم أحبك! وكم أشتاق إليك!

يا أمي... رحيلك علمني أن الحياة ليست دائمة، وأن كل حيٍّ ميتٌ، وأن الموتَ يحول بين المرء وحبيبه، ولا بقاءَ إلا لِله الواحد القهار.

فأسأل الله يا أمي أن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة، وأن يجمعني بك في مستقر رحمته، لا فراق بعده، آمين يا رب العالمين.

المقامة الرغيفية

أ. عثمان معاوية

نادى أبو السرور: «يا أبا النعيم! ما حال أبي جميل، وصنيعه في البخل؟ أما زال في شُحِّهِ قِمَّةَ الجبل؟» فأجاب أبو النعيم: «شهيرٌ ليس له مثال، وسمعت أنه قد قدم لعلاج خيل ترسل الأبوال، وتقطع الحبال، فعلينا أن نعالجه معالجة تذكرها الرجال، وتتعظ منها الملوك والأقيال».

فذهبنا إليه بكل اهتمام، حتى وصلنا إلى المرام، ولقيناه بتحية الإسلام، فرد علينا بمقتضى السلام، ورحبنا به ترحيبا ترق له القلوب وتغرَوْرِق له العيون، فتحير وذهل، «أَصَاحِ أنا أم أنا في الأحلام!» فقلت: «كيف أتيت؟ ودارنا وافيت؟ فهلم إلى البيت، لتناول الغداء، أم إلى المطعم نَطعم الشواء، والبيت أبعد المنال والسوق أقرب النوال». فذهبنا إلى مطعم مفروش البساط، وملبوس الأنماط، ومديد السماط.

يقول أبو السرور: «فناديت رجلا قد ربط نطاق الخاصر، وسواد شعره كَلَيْلٍ غابر، حامل قائمة فيها تفاصيل أطعمة متنوعةٍ، ليغري الواردين والأَكَلَة، وقلت له: «جذبَنا بَريقُ مطعمك اللامع، وسالت أفواهنا بِريقِ الجائع، فافرِز لنا مَرَقًا تَتَّقِدُ له الأكباد، ولحما يمضي في إثره الفؤاد، واختر لنا من تلك الأطباق، ولا تنس أوراق الرقاق وأرغِفة الخَبَّاز» وأوراق النشاف، ففعل ما قلت، وأنجز ما أمرت».

فعكفنا على خوان مملوء الحياض، منوّر الرياض، مصطف الجفان، مختلفِ الألوان، وأَحَطْنَا بالطعام كالهالة بقمرها، والأسورة بمعصمها، والأكمام بثمرها حتى استوفيناه، وقلت لأبي جميل: «ما أحوجنا إلى الشاي الأخضر! ليقمع هذه الصارة، ويفثأ هذه اللُّقَم الحارّة»، فأجاب بفرح وسرور، وصوت يصغي إليه النفور وينتقض له العصفور: «سميت شيئا -لا فُضّ فوك- يثلج الصدور»، فقلت: «لكل مقام مقال، ولكل عمل رجال، والشاي الأخضر لا يهنأ إلا من يد بارعة صانعة، وأعرف رجلا جربته آونة فآونة، تغلي له قدور كالبركان، وهو متربع أمام مطعمنا في الدكان، فأجزني حتى آمره بشاي يضمر اللحوم، ويزيل الشحوم والدسوم»، فذهبت واسترحت.

وقال أبو النعيم لأبي جميل: «قد ذرعتني الإراقة ومالي عليه إطاقة، فأجزني حتى أرتاح»، فأجازه حتى استراح، فبقي المسكين في الانتظار، ولم يدرك أمرَ الفرار، إلا بعد انقضاء الدقائق الكثيرة من الدُّوار، وازداد حيرةً بعد حيرة، حين عرف أنه لا يَملِكُ أيَّةَ فلسة، فالتفت يمنة ويسرة، لينتهز الفرصة لكن باءت محاولته بالفشل، فقد أمسكه الحرس والشرطة، فلكموه لكمات، وثنوا عليه بلطمات، وقالوا له: «إما أن تحضر الفلوس، أو تغسل الأواني بالمسحوق»، فبدأ بغسلها كارها، ويقول في نفسه غاضبا: «سأنتقم منهما انتقاما غائلا».

الكريم الغامض

أ. أبو سالم الأنصاري

كانت ليلة من ليالي الشتاء الباردة، وقد أسدل الليل أستاره على مدينة «لاهور» وخيّم عليها الظلام الحالك، ولفّتْها أمواج من الضباب الكثيف، وسادها صمت مخيف، إلا أن نباح الكلاب كان يشقّ عباءة السكون من حينٍ لآخر، ثم يثوب إليه الصمت نفسه كأن لم يكن.

فلما انتصف الليل، ظهر في أحد أزقتها الضيقة شبح قد ارتدى بُرنُسًا يخفي وجهه، فلا يمكن الاطلاع على ملامحه، إلا أن مشيته المتّئدة كانت تنمّ أنه تجاوز مراحل الشباب والكهولة، وكان يحمل على ظهره جِوالاً[1] ضخمًا يبدو ثقيلاً؛ إذ انثنى ظهره من حمله، ورشح جبينه عرقًا، وكان يلهث لهاث المتعب، ويقف بعد كل خطوتين أو ثلاثٍ وقفةَ من يستجمع قُواه، ثم يواصل سيره بصبر كمن اعتاد هذا الطريق..!

انتهى الشبح إلى بيت قديم، تهدّمت بعض جدرانه، غير أن بصيصًا من نور نافذ من ثُلمةٍ في الجدار كان يدل على أن البيت غير مهجور، فتلفّتَ يمنةً ويسرة ليتأكّد أنه لا يراه أحد، ثم وضع الجِوال أمام الباب، ونظر مرة أخرى بحذر، فلما اطمأنّ، عاد أدراجه حاثًّا خطاه، ثم اختفى في أجنحة الظلام الدامس..

استيقظ العم عبد العزيز عند صياح الديك، فجلس على فراشه، ومسح النوم عن عينيه، ومدّ يده ليخرج عصاه من تحت سريره، ومشى إلى المتوضأ رويدًا ليستعد لصلاة الفجر، فلما فرغ، أراد أن يخرج إلى المسجد، ففتح الباب فإذا بجِوَال ضخم أمامه، تهلل وجهه وصاح إلى الداخل: «يا أم هيثم! لقد جاء الكريم الغامض الليلة، كعادته ولم يتخلف!» هرولت إليه زوجته العجوز مستبشرة، وما إن رأت الجِوَال حتى تهللت أسارير وجهها، ورفعت يديها تدعو لهذا الكريم الذي صار - بعد الله - أملًا لهذين العجوزين في شيخوختهما وفقرهما المجحف.

سحبا الجِوَال إلى الداخل، وفتحاه، فإذا فيه كل ما يحتاجان إليه من طعام وزيت ووقود ودواء...خرج العم إلى المسجد وكأنّ الحياة دبّت فيه من جديد، كان يسير بعصاه لكن قلبه أضحى ينبض بقوّة.

***

(١) الجِوال: كيس كبير توضع فيه الأشياء.

كان العمّ عبد العزيز يسكن في ضاحية من ضواحي «لاهور»، وكان معظم سكانها مثله في البؤس والشقاء، ورغم ما بهم من ضيق، بلغوا من الشهامة والإباء مبلغًا زيّن لهم أن لا يمدّوا أيديهم إلى أحدٍ سوى الله.

ولا يُعلم كيف اطّلع على أحوالهم هذا الرجل الغامض، لكنه بدأ يُوصل إلى كل بيت من هذه البيوت جِوالًا ضخمًا في بداية كل شهر، فيه ما يكفيهم مؤونة شهرٍ كامل، وكان يحترم نفوسهم الأبيّة، فلم يُظهر نفسه قط، بل كان يدبّ إليهم في طيات الليل حين ينام الناس، حتى إذا وصل بابًا، ترك جِواله ومضى.

وقد حاول البعض أن يترصّدوه، لكنه كان كمن يمشي على أطراف الغيم، لا يُرى له ظلّ ولا يُسمع له صوت، ففشلت محاولاتهم، وتركوه وشأنه، ثم أطلقوا عليه اسمًا صار يتردد على كل لسان: «**الكريم الغامض**»

يذكره كل ملهوف في دعائه، وكل ثكلى في مناجاتها، وكل أمّ في دمعتها، وأصبح رغم غموضه، أعرَفَ شخصية في الضاحية، وأقرب إلى قلوبهم من كثير ممن يراهم الناس كل يوم.

مرّت الأعوام، وكبر الصغار، واحدودب ظهر العم عبد العزيز أكثر، لكن الكريم الغامض لم يتخلف، صار الناس يطلقون على الليلة التي تسبق قدومه «ليلة الكرم»، ويجتمعون يتذاكرون أثره، ويتواصون بأن لا يسألوا عنه، احترامًا لرغبته في الخفاء.

ثم جاءت ليلة، ولم يظهر الجِوَال! مرّ اليوم الأول، فالثاني، فسكتت الضاحية. لم يكن الصمت هذه المرة صمت الجوع... بل صمت الغياب. وفي اليوم الثالث، توفي في الحي «العم حمدان»، ذلك الرجل القصير القامة، الدميم الوجه، الذي كان يعيش وحيدًا في بيت طيني صغير، يعرفه الجميع بأنه فقير بسيط، لكنه دمث الأخلاق، لا يؤذي أحدا، دائم التبسّم، يجلس عند باب بيته يُحيّي الناس، ويساعدهم إن استطاع.

فدخل بعض شباب الحي إلى بيته ليغسلوه ويجهزوه، فوجدوا صندوقًا خشبيًّا صغيرًا مغلقًا، ففتحوه؛ لعلهم يطلعون على أحد من ورثته فينعوه إليه... فإذا فيه... دفاتر قديمة، فيها أسماء الأُسَرِ الفقيرة، واحتياجاتهم الشهرية، مكتوبة بخطٍّ دقيق، وأوراق تحمل تفاصيل توزيع المساعدات، وملاحظات عن كل بيت...!!

وهنالك انكشف السر، وعظمت تلك الجثة القصيرة في أعينهم جدا، ثم بكى الناس؛ فكأنّهم فقدوا أبًا ثانيًا دون أن يعرفوا أنهم كانوا يعيشون في ظلاله طوال تلك السنين.

وفي مساء ذلك اليوم اجتمع الناس في مسجد الضاحية، وصلّوا عليه صلاة المودّعين، وشيّعوه كأنهم يشيّعون سرًّا من أسرار الرحمة، وانطلقت الألسن بالدعاء له، لا مدحًا وتعظيمًا فحسب ، بل حبًّا وعرفانًا.

وفي الشهر التالي، أسّس أهل الحيّ من تبرعاتهم «مركز العم حمدان للخير المستتر»، ليكون امتدادًا لما علّمهم إيّاه هذا الجار المتواضع الذي مرّ بينهم كنسيم الفجر... خفيًّا، دافئًا، مُباركًا... وكتبوا على جداره:

«رحم الله الكريم الغامض... وَجَعَلَ فينا من يحمل رايَته في الظلام!»

مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما

مؤسسة علمية دينية إسلامية تسعى أن تكون قدوة لمدارس العالم، ولا سيما في شبه القارة الهندية في تدريس العلوم الدينية باللغة العربية الفصحى، لإعداد علماء دعاة يتزودون بالقرآن والسنة و يتحلون بالبساطة والمجاهدة لنشر الهداية في أنحاء العالم.